خمس رسائل إلى الشباب

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى: ١٤٤٤هـ ـ ٢٠٢٢م

التنضيد والإخراج الطباعي: مكتبة ابن فهد الحلي

كربلاء المقدسة ـ شارع قبلة الإمام الحسين عليه السلام

مجاور مرقد العلامة ابن فهد الحلي قدس سره

هاتف: ٠٧٧٠٥٨٥٦٣٧٧ - ٠٧٨٠١٥٥٨٩٤٢

البريد الإلكتروني: owayde110@gmail.com

خمس رسائل إلى الشباب

- لو عاد الزمن مع من تكون؟
- التدين واحتراف الدين
- جمال الظاهر وجمال الباطن
- لباس الكرامة والغيرة
- الوجهاء بالحسين عليه السلام

الشّيخ
فاضل الصَّفّار

بسم الله الرحمن الرحیم

المحاضرة الأولى

لو عاد الزمن مع من تكون؟

كانت ولازالت عاشوراء المرآة التي تعكس واقع الناس وجواهر النفوس، وتميّز بين أهل الكمال وأهل الرذيلة ـ أي أهل العقل وأهل الشهوة ـ وأتباع الحق وأتباع الباطل، وقد تقابل فيها معسكران معسكر يمثل الظلم والفساد قد يكون أكثر عدداً وأكثر قوة في الأسلحة، ويقف وراءه دولة كبيرة واسعة، وأبالسة من الجن والانس، ولهم أتباع كثيرون ومعسكر يمثل الحق والعدل والانسانية، وهم ثلة طاهرة نقية تأبى الظلم وتعلّم البشر كيف يعيشون أحراراً ذوي كرامة ودين ومحبة.

تقف وراءه إرادة الله سبحانه وأنبياءه وملائكته عليهم السلام وكل الشرفاء من البشر، بل وسائر خلق الله سبحانه مما يرى ولا يرى حتى الحور في الجنان وطيور السماء وما في البحار من حيتان.

وفي كل عصر يتمثل المعسكران بصنف جديد، وفي هذا اليوم تمثل المعسكر الظالم كل الجماعات والقوى التي تعمل لإفساد الأرض وتضليل أهلها وقيادة البشرية الى عبودية المادة والسلطة.

وتمثله دول كبرى وتيارات تابعة لها تحتكر الحياة والعلم والمال، وتستعبد شعوب الأرض بأساليب شيطانية تحطم القيم والأخلاق، وتضيع أجيال البشر بألوان المفاسد والمنكرات والتوافه.

ويمثل المعسكر الآخر جماعات وقوى تعتز بكرامتها وشرفها، وتحب الانسان والقيم الانسانية، وتعمل لاستقامة البشر على نهج الله سبحانه والأنبياء عليهم السلام وهم

من ينتمون الى الحسين عليه السلام روحاً وفكراً ونهجاً فيهم العلماء والفضلاء والشعراء والخطباء وأهل العقل والدين والضمير وكل من ينتمي الى هذه المدرسة الإلهية العظيمة، وهذه الحقيقة يبصرها كل ذي عين ولا تحتاج الى دليل أو برهان، فإن أدل دليل على الشيء هو وجوده ووقوعه في الخارج.

ومن هنا ينبغي على كل إنسان لا سيما الشباب أن يسأل نفسه مع أي معسكر يقف وفي أي اتجاه يسير؟

فلو عادت عقارب الزمن وكان في اليوم الذي وقف فيه الحسين عليه السلام وأنصاره في معسكر النور في مقابل جيش بني أمية في معسكر الظلام هو مع من يقف؟

مغريات الدنيا وحوافز الشهوة واللذّة تدعوه الى الخذلان والوقوف مع الباطل، وحوافز العقل والضمير والدين تدعوه إلى الثبات والاستقامة والتضحية لأجل الحق والكرامة.

مع من تكون؟

هذا السؤال في كل عام يتجدد وعلى كل جيل، واليوم لو يلتفت الشباب بمختلف مراحله وينظر لأفكاره ومعتقداته وأعماله ومواقفه، فمع أي المعسكرين يضع نفسه؟

هذه قضية لا تخفى على أحد ولا تحتاج الى دخول مدرسة أو الحضور عند معلم ليعرف واقعه وموقفه، وإنما يكفيه أن ينظر الى حاله في شخصيته والأفكار التي يحملها، والمعتقدات التي يؤمن بها، والأعمال التي يقوم بها ومنظومته اليومية؛ ليعرف هو مع الحسين وأنصاره عليه السلام أم مع يزيد وأتباعه.

أضرب لذلك أمثلة توضيحية :

اللباس الذي يلبسه الشاب في هذه الأيام يتمثل فيه المعسكران بعضه يمثل الشيطان ومفاسده وقذاراته وابتذاله، وبعضه تتمثل فيه الحشمة والعفة والكرامة، فأنت أيها الشاب ماذا تلبس؟

إن شخصية الانسان وثقافته ومنهجه يظهر أولاً بدلالة مظهره، فهل مظهرك يتناسب مع قيم عاشوراء أم قيم بني أمية؟

والمجالس التي تعقد وتقام بعضها نوادي للمنكر والفاحشة والرذيلة وإفراغ الشهوة، وبعضها تعقد لهداية البشر وتنوير العقول والقلوب وتبني المجتمع.. مثل مجالس العلم والفضيلة، فأنت في أي مجلس تحضر؟

في ليلة عاشوراء كان معسكر الحسين عليه السلام يدوي دوي النحل في العبادة وتلاوة القرآن والدعاء، ومعسكر ابن سعد مشغول باللهو واللعب والطعام والشراب واللباس والمعاشرة، فمع من تكون؟

في يوميات حياتنا يتمثل المعسكران بعضه يقوم على حرق الوقت في المقاهي ومجالس التسلية واللعب بالمحرمات، والانشغال بشبكات التواصل في الأمور التافهة، بما يوجب الإخلال بالحقوق والواجبات الشرعية، والمسؤوليات

الاجتماعية مع الأهل والزوجة والأولاد أو أداء العمل، وبعضه يقوم على النظم وأعطاء لكل شيء حقه، فساعة للعمل، وساعة للأهل والأولاد، وساعة لأداء الفرائض من صلاة ودعاء وقراءة القرآن والزيارة، وبعضه للترفيه بالحلال.

فما نعيشه اليوم لا يبعد عن عاشوراء من حيث المنهج والنظم وثقافة الحياة، ولا يفصلنا عنها سوى الزمن، فإن زمان عاشوراء كواقعة مضى، ولكن منهجها ومدرستها وتعليمها باق معنا في كل زمان وجيل.

يعلمنا الباري عزّ وجل بهذه الحقيقة في بعض الآيات، ويشير الى أن الناس بحسب ظاهر الحال مختلطون مع بعضهم، ولا تتميز جواهرهم وحقائقهم، وليس من دأب الله سبحانه أن يعلّم الناس بأسرارهم، وإنما جعل المواقف ميزان للتميّز، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن

رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

وقد كانت حرب أُحد المحك الذي تميّز فيه المسلمون الصادقون عن المنافقين، وقبلها كان المسلم والمنافق سواء يختلطون ويتعايشون مع بعضهم بلا تميّز، وكان الجميع يقال له مسلم في مقابل الكفار، ولكن في معركة أُحد تبيّن للمسلمين أن في صفوفهم من ظاهره الإسلام وواقعه الكفر.

وقد كان يدور في أذهان البعض أن الله سبحانه عالم بسريرة المنافقين، فلماذا لم يخبر الناس بهم، ويعرّفهم بهم؛ ليتميز الصادق والكاذب؟

قال تعالى رداً على هذا التساؤل ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ والسبب هو أن الدنيا دار اختبار، وأن لو فضحهم تبطل هذه السُنّة ويجعل المنافقين يتسترون أكثر، وأن

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

المسلمين يتجنبون المنافقين في العلاقات ويوقع الهرج والمرج، فجعل الاختبار محكاً يظهر حقائق الناس وأن لكل إنسان مواقفه وأعماله، وشخصيته هي التي تظهر حقيقته.

وفي الآية إلفاتات ثلاث:

الأولى: أن الخطاب موجّه للمؤمنين لكي يدركوا هذه الحقيقة، وأن الدنيا دار اختبار، فإذا لاحظ المؤمن أن الكافر الظالم في نعمة فلا يتأثر؛ لأن كل مالديه مؤقت سرعان ما يزول ويندثر، وإذا لاحظ نفسه أنه في جهاد وتضحية كذلك فإن العاقبة للمتقين وهو الأجر العظيم.

فألا يسوى أن الشاب يضحي بالأعمال الشهوانية لأجل العقلانية والتدين، فإنه بهذا يتحرر من الشيطنة والشهوة ويرتقي الى العقلنة والإنسانية، ويضحي باللذة المؤقتة لأجل اللذة الدائمة الباقية.

الثانية: أن كل ما يفعله الانسان في حياته في السر وفي العلن منظور وواقع تحت علم الله تعالى، وعلم إمام زمانه عليه السلام، فلا يتصور الشاب أنه لو قلّد أهل الدنيا من الغرب والشرق وأمثالهم فلبس الصليب أو اللباس الممزوق أو اللباس المفتضح أنه لوحده يفعل ذلك، بل هو تحت رقابة إلهية، وكذلك الشابة وكل الناس هم تحت الرقابة الإلهية في أفكارهم وأقوالهم وأعمالهم بها يتميزون وبها يثابون ويؤزرون .

فإذا جعل شخصيته حسينية والتزم بتعاليم الحسين عليه السلام في مظهره وجوهره فإنه منظور، وإذا جعل شخصيته يزيديه لا تبالي بحشمة ولا كرامة، ولا تحمل أفكاراً سديدة فإنه منظور. يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [1] أي يترككم تعملون فتكونون في

---

(١) سورة يونس: الآية ١٤.

معسكر الخير أم معسكر الشر، وينظر كيفية الفعل ولونه وجوهره.

والملفت أن الآية تقول: ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[1] لا ماذا تعملون؟ لأن العناية على الكيفية؛ لأن الانسان لا يخلو من عمل، فسكوته ونطقه عمل، وأكله وشربه عمل ونظره عمل وسمعه عمل، وفي كل عمل حلال وحرام، والانسان هو الذي يعمل ماهو محرّم أو محلّل والباري عز وجل ينظر الى كيفية عمله، فالعمر فرصة والشباب فرصة والحياة ساحة اختبار لينظر الى كيفية عمله.

والله تعالى لا يجبرنا على شيء، بل يعطينا المجال الواسع لأن نختار أسلوب الحياة والفكر الذي نحمله والثقافة، وبعد ذلك المواقف والأعمال لينظر كيف نعمل؟

مثلاً هل يخرج الانسان بلا ملابس؟ كلا، ولكن يختلف

---

(١) سورة يونس: الآية ١٤.

الناس في كيفية اللبس، فأحدهم يلبس لباس الشياكة، وبعضهم يلبس لباس المحتشمين.

الثالثة: أن الحسين عليه السلام أشار الى هذه الحقيقة بموقفه في كربلاء لم يجبر أحداً على الكون معه.

وقد ورد في بعض المقاتل أن الضحاك بن عبيد الله المشرقي وكان في معسكر الحسين عليه السلام وقد روى الكثير من الوقائع في ليلة عاشوراء وغيرها[1]، لكنه لم يحظ بتوفيق الشهادة معه، ولم يرتق درجات الشهداء، بسبب شهوته وحبه للدنيا، وكان قد تعاهد مع الحسين عليه السلام أنه ينصره مادام في نصرته فائدة، فإذا وصل الأمر الى الشهادة فإنه في حل، ولم يبق مع الحسين عليه السلام غير نفرين من أصحابه هما سويد بن عمرو الخثعمي وبشير بن عمرو الحضرمي، وقد تعاهد معه الحسين عليه السلام على هذا، وبالفعل أبقاه الله تعالى

---

(١) قاموس الرجال: ج٥، ص ٥٣٢ ، (٣٧١٢).

حتى انصرف.

قال: مرّت بنا خيل ابن سعد (لعنه الله) تحرسنا، وكان الحسين عليه السلام يقرأ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[1].

ونلاحظ أن التمييز للمؤمنين وليس للكافرين والمنافقين وأمثالهما؛ لأن هؤلاء فشلوا في الاختبار الأول، ولكن المؤمنين هم الذين يتعرضون الى الاختبارات اللاحقة.

وفي هذا دلالتان:

الأولى: أن عاشوراء والموقف معها أو ضدها هو محك للناس، ويميز الطيب منهم والخبيث، فالطيب يقف مع الحسين عليه السلام والخبيث مع أعدائه.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧٨ ـ ١٧٩؛ أنظر مقتل الحسين لأبي مخنف: ص١١٢؛ مقتل المقرم: ص٢٦٣؛ تفسير كنز الدقائق: ج٣/ ص٢٧٣؛ تفسير نور الثقلين: ج١/ ص٤٩٢.

الثانية: أنه أراد إفهام هذه الحقيقة أصحابه وأصحاب عمر بن سعد أنهم في هذه القضية على المحك وتميّز كلاً بمواقفه، وهذا النهج هو اليوم موجود فانظر أيها الشاب أنت مع من في مظهرك وجوهرك وأعمالك ومواقفك؟

ولو يتأمل الانسان وينظر الى عواقب الأمور سيجد الحقيقة ماثلة، فإن الحياة البشرية فيها نهجان يحرّكان الناس، نهج الحياة الروحية ونهج الحياة البدنية، والأول يقوم على القيم والمبادىء والعلم والعبادة والذكر وخدمة الخلق.

والثاني يقوم على الشهوة واللذّة والأنانية والظلم والفساد، والفرق بينهما في الغاية والأثر، فإن الأول يضحّي بالبدن وشهوته لأجل روحه وعقله.

والثاني يضحي بروحه وعقله لأجل بدنه وشهوته، والمصير الذي بلغه الاثنان يكشف عن جوهر النهجين.

ففي عاشوراء قدّم أنصار الحسين عليه السلام أبدانهم ودنياهم

لأجل أرواحهم وضمائرهم فإلى أين وصلوا؟ فانظر إلى مقاماتهم، كل الدنيا تنحني لهم وتشكرهم وهم بالجنة ينعمون.

وأتباع يزيد قدّموا أرواحهم وعقولهم لأجل أبدانهم فصاروا في النار وفي لعنة التاريخ.

واليوم حينما نلاحظ الحياة التي نعيشها وقد انقسم الناس الى فريقين فريق تأثر بحضارة الغرب والشرق واتبع شهوته، وما في السوق والشارع والمطعم والنوادي من مغريات نرى ازدياد الجريمة وأمراض الكآبة وانتشار المخدرات والفساد، وصار الانسان لا يحس بطعم الحياة ولا يعرف للمحبة والانسانية أثراً، وكلما ازدادات الحياة توغلاً في المادة الشهوة، زادت الشقاوة وارتفعت نسبة الأمراض والفقر والطلاق والتعاسة.

وتؤكد الدراسات أن الحياة الماضية كانت أجمل، والانسان فيها كان أكثر شعوراً بالسعادة، أما اليوم وبرغم

التطور الحاصل لكن الشيء المفقود هي السعادة والمحبة وهذه نتيجة طبيعية لمنهجية الشهوة.

وفي عاشوراء تظهر هذه الحقيقة أكثر وتتجلى للناس، وعلى الشاب المؤمن أن يلتفت الى هذه الحقيقة، فبإمكانه أن يعيش حياته بنهج عاشوراء وبشخصية الحسين عليه السلام وأنصاره فيكون خالداً منعماً، وبإمكانه أن يعيش بنهج يزيد (لعنه الله) وأتباعه فيكون شقياً وفي عذاب.

ونلاحظ الفرق بين النهجين ففي موقف عمر بن سعد بالرغم من أن أمير المؤمنين عليه السلام حذّره قبل عاشوراء بسنين طويلة وقال له: (كيف أنت إذا قمت مقاماً تخيّر فيه بين الجنة والنار فتختار النار)[1].

وكان معروفاً بين الناس أنه قاتل الحسين عليه السلام فأينما ذهب وحل يقول الناس هذا قاتل الحسين عليه السلام، فجاء يوماً

---

(١) شعاع المنبر: ج٢، ص٣٧١.

وقال للحسين عليه السلام: إن قوماً من السفهاء يزعمون أني قاتلك؟ فقال عليه السلام: (إنهم ليسوا سفهاء ولكنهم حلماء، ثم قال عليه السلام: والله إنه ليقر بعيني أنك لا تأكل بُرّ العراق بعدي إلاّ قليلاً)[1].

ورغم كل ذلك اتبع شهوته وأسّرَتْهُ الدنيا ومظاهرها، وفي كربلاء دعاه الحسين عليه السلام إلى مفاوضته بين العسكرين، فخرج ابن سعد ليلاً معه عشرون فارساً، وخرج الحسين عليه السلام معه بعض أنصاره، فلما التقيا أمر الحسين عليه السلام أصحابه أن يتنحوا وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر عليهما السلام.

وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا عنه وبقي معه ابنه حفص وغلام له.

فقال له الحسين عليه السلام: (ويلك يا ابن سعد أما تتقي الله

---

(١) المصدر السابق.

الذي إليه معادك؟ أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟ ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنه أقرب لك الى الله.

فأجابه عمر بمنهج أهل الدنيا والذي يصنعون مصيرهم بالتوافه.

وقال: أخاف أن يهدم داري ـ بالفتح والفاعل ـ أي ابن زياد وبالضم كناية عن الحكومة.

فقال الحسين عليه السلام: أنا أبنيها لك.

فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.

فقال الحسين عليه السلام: أنا أخْلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز ـ ويبدو أن ابن سعد كان يعرف ماله بالحجاز كم هو كثير ـ.

فقال: لي عيال وأخاف عليهم، ثم سكت ولم يجبه إلى شيء.

فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو يقول: مالك ذبحك الله على فراشك عاجلاً ولا غفر الله لك يوم حشرك، فو الله

إني لأرجوا أن لا تأكل من بُرّ العراق إلاّ يسيراً.

فقال ابن سعد: في الشعير كفاية عن البر مستهزءاً بذلك)[1].

وخصص البر بالذكر؛ لأنه طعام المرفّهين في ذاك الزمان والذين يطلبون الدنيا.

ونلاحظ الصفقة الخاسرة التي صنعها ابن سعد فإنه قدّم دار الدنيا على دار الآخرة، وضيعة الدنيا على جنة الآخرة، وطعام الحنطة والشعير على طعام الجنة؛ لأن منهجه هو الذي قاده إلى مصير أسود، وخلود في العذاب، ومع أن الحسين عليه السلام حذّره أخيراً، وكشف له بأنه سوف لا يبقى بعد قتله، وأنه سيذبح على فراشه، ولكن ترسّخت فيه طباع الشهوة فغلبته وأسرته.

أنظر اليوم الى ابن سعد إلى أين صار؟ وأنظر الى

---

(١) أنظر نفس المهموم: ص٢٣٣ هامش رقم (٤)؛ وأنظر تاريخ الطبري: ج٧، ص٣١٣ـ ٣١٤.

الحسين عليه السلام وأنصاره الى أين صاروا؟ فكل إنسان هو في ساحة اختبار دائماً، فإما هو حسيني في منهجه، وإما أموي بأي شكل ولباس كان.

فإن حضارة اليوم التي يسمونها حضارة بمساوئها وعبوديتها للدنيا والمظاهر هي أموية في طباعها، والذين يترفعون عنها هم في المنهج المخالف.

المحاضرة الثانية

التدين واحتراف الدين

الفرق كبير بين التدين واحتراف الدين، وفي الغالب يختلط المتدين بمحترف الدين ويوقع الشبهة في النفوس، ويضل به الناس فلا يميزون بين المتدين الحق وبين المحترف، والفرق بين المتدين ومحترف الدين في أمور عديدة:

الأول: أن المتدين يقيد نفسه بالدين ومبادئه، أما المحترف فيطوع الدين لرغابته .

الثاني: أن المتدين يتخذ رضا الله تعالى غاية وهدفاً، أما محترف الدين فيتخذ رضا نفسه وشهوته هدفاً.

الثالث: أن المتدين يتمسك بكل الدين في جميع جوانب الحياة، أما محترف الدين فيأخذ من الدين ما يناسب مصالحه، ويترك ما يخالفها.

وعاشوراء ميّزت بين الأمرين، وفصلت أهل الدين عن محترف الدين، وعلى الشاب اليوم أن يميز بين المفهومين ويرى نفسه هو في أي جهة يكون؟ ولا تختلط عليه الأمور، فيأخذ بكل الدين ولا يبعّض فيه، والاّ كان محترفاً.

نلاحظ مثلاً في كربلاء كلا المعسكرين كان مسلماً ويصلي ويقرأ القرآن، ولكن أحدهما جاء لأجل الدين وأن تكون حقيقته وجوهره هما الحاكمان، بينما جاء معسكر يزيد وابن سعد باسم الدين لتحكيم سلطة بني أمية، وكانت المبادىء التي تقودهم ثلاثة:

الأول: الطاعة للأمير عبيد الله بن زياد (لعنه الله)، وبالمحصلة الطاعة ليزيد، ومن هو ابن زياد ومن هو يزيد؟

الثاني: التعصب والجاهلية والنفاق والمظاهر حتى قال قائلهم: (النار ولا العار) فأجابه الحسين عليه السلام: (العار أولى من دخول النار).

الثالث: الحقد والحسد حتى قال قائلهم: (نقتلك بغضاً

منا لأبيك وبما فعل بأشياخنا يوم بدر وأحد).

وقال شمر: (أقتلك وإني أعلم أنك ابن فاطمة وإني أدخل النار).

وحينما نلاحظ سيرة محترفي الدين نجد أنهم يتمظهرون بالدين ويخالفونه في جواهرهم وأعمالهم، فإذا تعارضت مصالحهم وأفكارهم مع مبادئ الدين داسوا الدين طلباً لمصالحهم.

وقد ورد في بعض الأخبار عن أبي إسحاق السبيعي أنه سمع شمراً بعد واقعة عاشوراء يقول بعد الصلاة: (اللّهم إنك تعلم إني شريف فاغفر لي.

فقال له: كيف يغفر لك وقد أعنت على قتل ابن رسول الله؟

فقال: ويحك كيف نصنع؟

إن أمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخالفهم ولو خالفناهم كنا شراً من هذه الحمر).

ونلاحظ التناقض الكبير الذي وقع فيه ولا يقع فيه إلاّ محترف الدين، أما المتدين فيستحيل أن يقع فيه.

فهو يرى أنّ طاعة أميره ابن زياد ويزيد مقدمة على أشد المحرمات الإلهية، فلا يطيع الله سبحانه ورسولهﷺ، ولا يطيع عقله بل يطيع أميره لأجل ماذا؟

هل لأجل الدين والعقل؟ كلا، بل لأجل الشهوة والعصبية، وهذا عذر يجده الكثير من أتباع الطغاة والجبابرة فيساعدونهم على سحق القيم والمبادىء.

واليوم يجد الشاب نفسه بين المعيارين، ونلاحظ أن بعضهم يعمل المنكرات ويقيمها بحجة قضاء الوقت أو الراحة أو بحجة أن ليس له شغل أفضل، والمرأة تترك حجابها أو تنصف فيه فتلبس منه ما يوافق مزاجها وترتضيه، وتخلع منه مالا يناسبها باسم الدين، وبعضهم يأكل الربا بعنوان التجارة، والموظف يرتشي أو يبتز غيره ويعرقل عمل الناس إلاّ أن يدفع له بعنوان هدية وهكذا.

الظاهر والأساليب كثيرة مع أن الكثير منهم يصلون ويصومون ولكنهم يبعّضون في الدين، فيأخذون من الدين ما يوافق مزاجهم ويتركون منه مالا يوافق مزاجهم، فيا ترى هل هذا تدين أم احتراف للدين؟

ولا يختص هذا بالحياة الشخصية للأفراد بل حتى في الأمور العامة كالسياسة والأمن وغيرهما.

فهو قد يصلي ويصوم ويذم البائع إذا غشّ الناس، والطالب إذا غش في الامتحان؛ لكنه يزوّر في الانتخاب ويقصي من له الحق؛ لأجل تصعيد أصحابه.

وينصب القضاة لأخذ السارقين في الامور العادية ومعاقبتهم؛ لكنه يسرق البلد وثروته، وحتى بعض المنسوبين الى الدين قد تكون أفعالهم هكذا، فمظهره مظهر الدين ولكن في جوهره يحارب الدين ويهدم قدسيته، فالمائز بين التدين واحتراف الدين كبير، فإن المحترفين يتمظهرون بالدين، وبعضهم صادق في تمظهره؛ ولكنه في الواقع يقدّم

شهوته ورغبته وقناعته على الدين، فإذا تعارضا ترك الدين وأخذ بما يريد هو ويجد لنفسه المبررات.

وفي معسكر عمر بن سعد كان القوم يصلّون، ولما أرادوا الخروج من كربلاء بعد جنايتهم الكبيرة، صلّى ابن سعد على قتلاه ودفنهم، وترك الحسين عليه السلام وأصحابه مسلبين تصهرهم الشمس بلا صلاة ولا دفن، يريد بهذا أن يبين للناس أنه عبد السلطان، وأن مخالف السلطان ليس بمسلم فلا يستحق الصلاة والدفن.

هذا هو مظهره وهو في الواقع هدم الدين والصلاة والصيام.

ولذا ورد في زيارته الصادرة من الناحية المقدسة من حجة الزمان عليه السلام، كما نقلها جمع من علمائنا الأبرار كالمفيد والمرتضى وابن طاووس ومحمد المشهدي والعلامة المجلسي

وغيرهم جواب عميق ودقيق منهم[1].

يقول فيها: (لقد قتلوا بقتلك الإسلام، وعطلوا الصلاة والصيام، ونقضوا السنن والأحكام، وهدموا قواعد الإيمان، وحرّفوا آيات القرآن، وجحدوا في البغي والعدوان. لقد أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله من أجلك موتوراً، وعاد كتاب الله عزّ وجل مهجوراً، وغودر بحق إذ قهرت مقهوراً، وفقد بفقدك التكبير والتهليل والتحريم والتحليل والتنزيل والتأويل، وظهر بعدك التغيير والتبديل، والإلحاد والتعطيل، والأهواء والأضاليل والفتن والأباطيل).

وقد لخص فيه كل قيم الدين ومبادئه أصولاً وفروعا؛ ليدل على أن الحسين عليه السلام والدين مصداق واحد بوجهين، وأنه والقرآن وأنه والشريعة وأنه والحق حقيقة واحدة بصورتين.

---

(١) الدعاء والزيارة: ص٧٥٤.

ومن الذي قتله؟ إنه الذي يؤمن برسول الله صلى الله عليه وآله وانتمى الى دينه وآمن بكتابه ويقرآنه في صلاته وفي غيرهما، فما هذا التناقض بين العقيدة والعمل؟ إنه منهج الاحتراف للدين.

وفي الروايات الشريفة ما يدل على أن الأئمة عليهم السلام ما كانوا يريدون لشيعتهم هذا النهج، بل أرادوا لهم الصدق والصفاء، وتطابق الظاهر والباطن معاً، وذلك لا يكون إلاّ بالتمحض فيهمم، فإذا خلط المؤمن بينهم وبين غيرهم حسبوه على غيرهم وفي الآخرة يحاسب كمحاسبتهم.

ومن لطائف الروايات الواردة بهذا الشأن رواية مسمع كردين قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: (إن على الكوثر أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده عصا من عوسج يحطم بها أعداءنا فيقول الرجل منهم: إني أشهد الشهادتين! ـ أي حذف الثالثة ـ لذا يقول له:

فيقول: انطلق إلى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك

فيقول: يتبرأ مني إمامي الذي تذكره فيقول: ارجع وراءك فقل للذي كنت تتولاه وتقدمه على الخلق فاسأله إذا كان عندك خير الخلق أن يشفع لك فإن خير الخلق حقيق أن لا يرد إذا شفع فيقول: إني أهلك عطشاً.

فيقول: زادك الله ظمأ، وزادك الله عطشاً.

قلت: جعلت فداك وكيف يقدر على الدنو من الحوض ولم يقدر عليه غيره؟

قال: ورع عن أشياء قبيحة وكفّ عن شتمنا إذا ذكرنا وترك أشياء أجترأ عليها غيره، وليس ذلك لحبنا ولا لهوى منه لنا، ولكن ذلك لشدة اجتهاد في عبادته وتدينه، ولما قد شغل به نفسه عن ذكر الناس، فأما قلبه منافق ودينه النصب باتباع أهل النصب وولاية الماضين وتقدمه لهما على كل أحد)[1].

---

(١)كامل الزيارات: ص١٠١، ح٦، أسرار الشهادات: ج١، ص٩٩.

وفي الرواية دلائل وإشارات تلفت كل عاقل وحريص على نفسه ودينه إليها.

ودلائل عديدة أخرى نشير اليها اشارة:

منها: أن في الآخرة مرحلتان يبتلى بها أهل النار هي الظمأ والعطش، والفرق بينهما أن الظمأ هو العطش، ولكن إذا اجتمع معه يشير الظمأ إلى شدة الشوق واللهفة إلى الماء والعطش الى شدة الحاجة الى الماء[1].

فالأول يشير إلى الحالة الروحية والثاني إلى الجسمية، ولذا كررهما الإمام عليه السلام.

ومنها: أن على المؤمن أن لا ينخدع بمظاهر بعض الناس إذا رآهم على باطلهم مجتهدون في الطاعات ويجتنبون المنكرات، فإن هذا ليس معياراً لسلامة الموقف والمصير،

---

(١) مجمع البحرين: ج١، ص٢٨٠ (ظمأ)؛ المعجم الوسيط: ج١، ص٥٧٧ (ظمأ)؛ معجم مقاييس اللغة: ص٦١٨ (ظمأ)؛ المعجم الوسيط: ج٢، ص٦٠٨ (عطش).

وبعضهم لشدة ورعهم يصلون إلى حوض الكوثر، لكنهم يذادون عنه، ففي رواية أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام قال له: (يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث: من شهد أن لا اله إلاّ الله مخلصاً وجبت له الجنة قال: قلت له: أنه يأتيني من كل صنف من الأصناف فأروي لهم هذا الحديث؟

قال: نعم يا أبان إنه إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين فتسلب لا إله إلاّ الله منهم إلاّ من كان على هذا الأمر)[1].

ومنها: أن لمحبة آل محمد صلى الله عليه وآله الأثر في نجاة الناس من عذاب النار، وأما احتراف محبتهم لأجل المصالح والشهوات فلا ينجي منها.

ومنها: أن من الناس من هو ناصبي وهو ظاهر معلوم،

---

(١) الكافي: ج٢، ص٥٢٠.

ومنهم من هو ليس بناصبي، وربما يظهر محبتهم واتباعهم؛ ولكنه يحشر مع النواصب لاتباعه لهم، فلا ينجو إلاّ من طابق قلبه عمله، فإذا حصل التفكيك ابتلي.

وتشير الرواية أيضاً الى أمور:

الأولى: أن الدنيا فيها أئمة حق وأئمة باطل، وأن كل إمام معني بأتباعه.

الثانية: أن الإمام والولي قد يكونا شخصين وليس بالضرورة يكونا شخصاً واحداً، فإن الإمامة والولاية تجتمع في أئمة الهدى عليهم السلام، أما أهل الضلال من عالم وإمام وهو من يتبعونه في الظاهر، وولي وهو الذي يتبعونه في الباطل، وفكره ومنهجه حاكم على قلوبهم وأرواحهم ويقدمونه على الدين.

فمثلاً في دولة بني أمية وبني العباس وأمثالهم يوجد حاكم وسلطان يحكم الناس في الظاهر ولهم أولياء يتبعونهم في الباطل، هم الذين أسسوا لهم الأساس فإنهم قدسوهم

وفضلوهم حتى على رسول الله ﷺ، فاستعدوا لنسبة الكثير من التبليغ لرسول اللهﷺ والتي وردت في أخبارهم وتأخذهم الحمية لتنزيه هؤلاء من كل دنس فعلوه.

وربما يكون إمام الانسان شيطانه وشهوته أو فلان مغني غربي أو شرقي أو رياضي.

والسؤال الخطير الذي ينبغي أن يلتفت إليه أهل هذا الزمان، أو يمكن أن يكون حال الكثير في هذا الزمان، مثل ذاك الرجل الذي اتبع إماماً واتخذ ولياً فظن أنه ينفعه فخذله.

إن البعض يتبع الكثير ممن يظن أنهم أهل للاتباع وفي الحقيقة يقودونه الى النار، فعلى كل فرد أن يعرف من هو إمامه، ومن هو وليه الذي يتولاه، ففي الجانب النظري ربما يقول الانسان إني أتبع محمد وآل محمدعليهم السلام فأتولاهم، ولكن في العمل حينما يرجع الى عمله قد تكون الحقيقة على خلاف ذلك؟

إن للاتباع والتولي علائم منها:

ـ الفكر الذي يحمله الانسان والثقافة هل أخذه من الباقر والصادق عليهما السلام وأهل البيت عليهم السلام أم من غيرهم؟

ـ واللباس الذي يلبسه، والطعام الذي يأكله، والشراب الذي يشربه، والصلاة التي يصليها، والمجالس التي يحضرها، فهذه كلها لها نمطان نمط لآل محمد عليهم السلام فيه الحلال والطيب والطاهر، ونمط لأعدائهم فيه الحرام والخبيث، فان لباس المرء يدل على هويته، وكذا طعامه وشرابه، فالذي يشرب الخمر اقتدى بأعدائهم؛ لأن أعدائهم كانوا يغرقون في أحواض الخمر، والذي يلبس اللباس الفاضح يقتدي بأعدائهم، وهكذا في كل مجال يمكن أن يكون الانسان مؤمناً بهم نظرياً، ولكن عملياً يعتقد بالفكر العلماني أو الأموي أو الغربي والشرقي، ويقلدهم في أكلهم وشربهم ولبسهم، ويبني حياته على أفكارهم وأسلوبهم ويوهم نفسه بأن هذا أرتقاء أو حداثة، وكأن

هؤلاء يفهمون الحياة أكثر ولهم ما يستدعي الاقتداء إنهم ملئوا الدنيا فساداً وظلماً وحطموا الحياة وأهلها، فكيف يتخلف المؤمن الذي بيده نور السماوات والأرض ويقتدي بهم؟

فعلى كل شاب اليوم أن ينظر إلى باطنه؛ ليعرف أنه يدين لمن؟ ويقتدي بمن؟ وهل أن ظاهره وباطنه متطابقان؟ أم هناك تناقض واقع فيه فصار محترف للدين وليس بمتدين؟

ولذا صنّف الصادق عليه السلام الناس من أمثالهم إلى نواصب وإلى متبع للنواصب، وهذا المتبع قد لا يكون في عقيدته ناصبياً ولكنه في عمله يكون كذلك.

إن الشواهد التاريخية تؤكد وقوع الكثير من الناس في التناقض حتى أعداء آل محمد عليهم السلام، فإنهم كانوا ظاهراً يقرّون بفضلهم؛ ولكنهم في الواقع يخالفونهم، فمثلاً أبو بكر كان يقرّ لفاطمة عليها السلام بالفضل العظيم، ولما حاججته في فدك قال لها: (يابنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنت عين الحجة

ومنطق الرسالة)[1].

وقال: (أنت ياخيرة النساء وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك.. وأنت سيدة أمة أبيك... أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة وركن الدين وعين الحجة)[2].

هذا قوله ولكن ما هو فعله؟

لم يصدّق قولها بالعمل، ولم يرد لها فدكاً، واستمر على نهجه الدنيوي الذي فيه تسخير الدين للمصلحة.

ويؤيد ذلك ما نقله ابن أبي الحديد عن أستاذه علي بن الفارقي مدرّس المدرسة الغربية ببغداد قال: قلت له سائلاً: أكانت فاطمة سلام الله عليها صادقة؟

قال: نعم قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟

فتبسم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته

---

(١) البحار: ج٢٩، ص٢٣٩.

(٢) الاحتجاج: ج١، ٢٧٥ـ ٢٧٧ محاجة (٤٩).

وقلة دعابته قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الإعتذار والموافقة بشيء؛ لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيما تدعي كائناً ما كان من غير حاجة الى بيّنة ولا شهود.

ثم قال ابن أبي الحديد: وهذا كلام صحيح وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل[1].

ونلاحظ التناقض الذي يقع فيه محترفوا الدين؛ لأنهم يريدون الدين لمصالحهم فإذا عارضها تركوه وأخذوا بها.

وذات القضية تقال في كلمات عمر في حق أمير المؤمنين عليه السلام، وكذا معاوية وعمر بن العاص وغيرهم ممن عادى علياً وأهل البيت عليهم السلام، فإنهم تناقضوا بين أقوالهم وأفعالهم والكثير من علماء العامة اليوم على هذا النهج.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج١٦، ص٢٨٤.

ولو أردنا أن نستعرض الشواهد لطال بنا المقام، وحتى أبليس له كلمات وأقوال تدل على ذلك[1].

وتنسب إليه أبيات من الشعر يصرح فيها بتمني شفاعة آل محمد عليهم السلام[2].

وبعض المخالفين لعلي عليه السلام لهم كلمات عالية ربما لا يصل إليها حتى بعض الشيعة[3].

وهذا ما قد يقع فيه بعض شباب الشيعة فلا يتمحصون في ولايتهم واتباعهم لآل محمد عليهم السلام، فإن للاتباع لهم معيار، ومعياره أن يطابق نفسه معهم في أفكاره وأسلوب حياته حتى في لباسه وطعامه وشرابه وأسلوب عيشه، وهذا ما أخبر به الصادق عليه السلام قال: (أفترق الناس فينا على ثلاث فرق: فرقة أحبونا انتظار قائمنا صلى الله عليه وآله ليصيبوا من دنيانا،

---

(١) أنظر البحار: ج٣٩، ص١٧٤.

(٢) أنظر مناقب آل أبي طالب : ج٢، ص٩٠.

(٣) أنظر شرح احقاق الحق: ج٣٣، ص١٥١؛ مشكاة النور: ص٧٥٣.

فقالوا وحفظوا كلامنا وقصّروا عن فعلنا فيحشرهم الله إلى النار، وفرقة أحبونا وسمعوا كلامنا ولم يقصروا عن فعلنا ليستأكلوا الناس بنا فيملأ الله بطونهم ناراً يسلط عليهم الجوع والعطش، وفرقة أحبونا وحفظوا قولنا وأطاعوا أمرنا ولم يخالفوا فعلنا فأولئك منا ونحن منهم)[1].

ومن رواية أخرى عنه عليه السلام : (إنا لا نعد الرجل مؤمناً حتى يكون بجميع أمرنا متبعاً مريداً)[2].

ولاحظوا كلمة جميع فإنها تفيد أن التبعيض في الاتباع بدرجة في غير المؤمنين، ويستأكلوا أي يطلبوا الأكل بهم وهو غير (أكلوا أو يأكلوا)، لأن الاستفعال يتضمن معنى الطلب فمن المعيب أن يطلب الخادم لهم أجور على خدمته، ولكن يستحق أن يعطى الأجر وألاّ يبخس حقه.

وفي رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام أشد دلالة وتتلخص

---

(١) تحف العقول: ص٥١٤.

(٢) الكافي: ج٢، ص٧٨.

في أن الشيعي يتميز بمطابقة ظاهره وباطنه والاقتداء بهم في الإمامة وفي الولاية، فلا يتبع غيرهم ولا يقدم غيرهم لا في الفكر ولا في المظهر وأسلوب الحياة عليهم[1].

وفي زيارة عاشوراء: (ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتّبكم الله فيها).

الدفع عن مقامهم عليهم السلام لا يختص بأعدائهم فإن من الشيعة من يقصّر في عقيدته بهم، أو يتبع غيرهم فيكون قد دفعهم عن مقامهم، فإن الدفع قسمان:

الدفع في العقيدة وهو دفع في الباطن، والدفع في العمل وهو دفع في الظاهر.

فالذي يشرب المنكر دفعهم في الظاهر، والذي ينكر بعض فضائلهم أو يرى لغيرهم مقاماً معهم دفعهم في الباطن.

---

(١) الكافي: ج٨، ص٢٢٨.

ويتحصل: أنه لم يكن متديناً ومنقطعاً لهم فلعل من أسوء مايبتلى به الناس هو التبعيض في العقيدة وفي العمل، فهو في هويته مؤمن وشيعي، ولكن في واقعه يتبع أعدائهم الذي أحترفوا الدين، ولذا صنّفهم الإمام عليه السلام إلى فرق ثلاث:

الأولى: هم من احترفوا حبّهم طلباً لدنياهم فكانوا يتبعونهم لعل الإمام منهم يبلغ السلطة فيستفيدوا منه، فحبه لهم حب الشهوة والمصلحة، وصفتهم أنهم يظهرون الحب وأما العمل فلا.

الثانية: الذين يتبعونهم حتى في العمل، ولكن لا لأجل والارتقاء والاقتداء الصادق بهم بل لأجل نيل الدنيا بهم، فيكون كأنه جعلهم متجراً بواسطته يأكل ويرتزق، وهذا أخطر من الأول، وربما يبتلى به الأفراد، وربما يبتلى به الدول، كما يبتلى به طلاب الشهرة والمال من الفرق الضالة.

ومن هنا نلاحظ أن الحسين عليه السلام في نهوضه وسيره إلى كربلاء أرجع الآلاف المؤلفة من الذين اتبعوه طلباً للعافية، ومحّص أصحابه تمحيصاً، ولم يصفَ منهم إلاّ الثلة القليلة؛ لأنه عارف بهذه النوايا، وأن الكثير من الناس يحترفون حبهم ونصرتهم، أما الناصرون الحقيقيون فهم الذين يتبعونهم في كل شيء.

المحاضرة الثالثة

جمال الظاهر وجمال الباطن

يتنازع الانسان نوعان من الجمال جمال الظاهر وجمال الباطن، والأول يدور على الجسد وشؤونه، والثاني يدور على الروح وشؤونها، وجمال الظاهر يقوم على أربعة أركان هي:

١ ـ النسب والحسب.

٢ ـ الشكل والهندام.

٣ ـ المال والثروة.

٤ ـ المكانة الاجتماعية في مثل المنصب والشهادة الجامعية وأمثالها.

ويتميز بثلاثة:

الأولى: أن أركانه زائلة غير ثابتة، فربما فقد الجميل

جماله بمرض أو عرض، وفقد الثري ماله، وعزل صاحب المنصب.

الثانية: أنها مؤقتة تختص بعالم الدنيا، فلا تلازم الانسان في كل العوالم.

الثالثة: أنها دانية وليست راقية لو اتخذها الانسان هدفاً نزل الى الأسفل ولا يتخذها هدفاً إلاّ أهل الغفلة وأصحاب القلوب الميتة وأتباع الشيطان.

وأما جمال الباطن فيقوم على أربع ملكات عالية هي:

١ ـ العلم والمعرفة.

٢ ـ الحلم والسماحة.

٣ ـ العفة والاحتشام.

٤ ـ الحكمة.

وحقيقة الانسان وجوهره وإنجازاته في جماله الباطن، أما الظاهري وسعادته فهو منشأ شقائه وانحداره إذا اتخذه هدفاً، وخير البشر من يتمتع بالجمالين معاً، فكان كاملاً جميلاً في

روحه وجميلاً في مظهره، فإذا ارتقى وأفنى جماله الجسدي بجماله الروحي كان إنساناً راقياً، وإذا أفنى جماله الروحي في جسده كان غافلاً وانحدر الى أسفل السافلين.

فالحسب والنسب إذا لا يلازمه العلم يضع، وجمال الشكل والهندام إذا لا يلازمه الحلم والسماحة يضيع، والمال إذا لا تلازمه العفة والاحتشام يضيع، وكذلك المكانة الاجتماعية إذا لا تلازمها الحكمة تضيع، وقد ذكر علماء الأخلاق: أن الله تعالى خلق الخلق الدرّاك على ثلاثة أصناف:

الأول: صنف منه الملك الروحاني اللطيف النوراني، وجعل غذاءهم من جنسهم وهو الذكر، وخلقهم للعبادة ولا يعصون الله تعالى ما أمرهم وهم بأمره يعملون.

الثاني: وصنف منهم الحيواني الجسماني السفلي الكثيف الظلماني، وجعل غذاءهم من جنسهم وهو الطعام وخلقهم للعبرة والخدمة كالحيوانات لا سيما الأنعام.

الثالث: وصنف منه الانسان وهو مركب من الملكي الروحي والحيواني الجسماني، وجعل غذاءهم من نوعين، فجعل لروحانيتهم الذكر والعبادة والأخلاق الزكية، ولجسمانيتهم الطعام، وخلقهم لثلاثة أغراض هي:

المعرفة والعبادة والخلافة.

وهم في هذا التكوين على ثلاثة أصناف أشار إليهم القرآن الكريم في الآية ٣٢ سورة فاطر[1].

فمنهم ظالم لنفسه وهو الذي غلبت حيوانيته روحانيته، فبالغ في غذاء جسمه وشؤونه من لباس وطعام وشكل، وأهمل أو قصر في غذاء روحانيته حتى ماتت روحه، واستولت حيوانيته على أفعاله وأقواله ومواقفه وقد وصفوا بالأنعام بل هم أضل لمشابهتهم للأنعام بالصفة.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ سورة فاطر: الآية ٣٢؛ والتقسيم الثلاثي وصف للعباد لا للمطففين.

ومنهم مقتصد وهو الذي تساوت روحانيته وحيوانيته فغذى كل واحدة منهما غذاءه وأعطاها ما تطلب، ولذا يخلطون العمل الصالح بالآخر السيء، وتضطرب مواقفهم وأفعالهم، فمرة تغلب عليها الروحانية ومرة تغلب عليها الحيوانية، وهم في برزخهم حمل وفي آخرتهم عسى أن يتوب عليهم.

ومنهم سابق بالخيرات وهم الذين غلبت روحانيتهم على حيوانيتهم فبالغوا في غذاءهم الروحي بالذكر والعبادة والعلم والمعرفة والتقوى، وقصّروا في غذائهم الحيواني حتى ماتت واعتدلت شهواتهم واستوت قوى أرواحهم، فكانوا سعداء في دنياهم وبرزخهم وآخرتهم، وهم في كل زمان موجودون ولكنهم قلة.

وببركتهم تدوم النعم والسلام على أهل الأرض، وغالباً ما يتصفون بصفات ويعملون أشياء تغلب عليها الخدمة والانقطاع ويتخذهم الناس قدوة.

وحكي أن شيخاً من أصحاب الجمال الباطن كان يسير الى بيت الله تعالى راجلاً فإذا بأعرابي حكيم على ناقة فقال له:

ياشيخ: الى أين؟

فقال: إلى بيت الله.

قال الأعرابي: كيف وأنت راجل والمسافة بعيدة؟

فقال الشيخ: إن لي مراكب كثيرة.

فقال: وما هي؟

قال: إذا نزلت عليّ بلية ركبت مركب الصبر، وإذا نزلت عليّ نعمة ركبت مركب الشكر، وإذا نزل بي القضاء ركبت مركب الرضا، وإذا دعتني النفس إلى شيء قبيح أو حرام أو حسرة على مال أو طعام دنيا علمت أن ما بقي من العمر أقل مما مضى.

فقال الأعرابي: أنت الراكب وأنا الراجل سر على بركة

الله[1].

وفي قول الحكماء لبعض أهل الجمال الظاهر: (إن افتخرت بفرسك ـ سيارتك ـ فالحسن والفراهة له دونك، وإن افتخرت بثيابك فالجمال لها دونك، وإن افتخرت بآبائك فالفضل فيهم لا فيك، فإن افتخرت فافتخر بما فيك)[2] وهو جمالك المعنوي.

فعلى الشاب أن يفكر في جماله الظاهر وجماله الباطن فإذا تطابقا اكتمل وكان سعيداً، وإذا افترقا فصار يهتم بلباسه وطعامه وسيارته، والمقهى التي يجلس فيها، والنادي الذي يحضره، فإنه فقد روحه وعقله وشخصيته، وليس الشباب فقط بل كل أحد، فربما تجد شخصاً يحمل شهادة علمية كبيرة لكنه بلا حلم فيضيع علمه بهذا النقص.

---

(١) تفسير مقتنيات الدرر: ج٣، ص٣٩.

(٢) نفحات الرحمن: ح٥، ص١٢٢ تفسير الآية ١٩ من سورة لقمان؛ روح البيان: ح٧، ص٨٥.

وربما يكون ثرياً وأمواله لا تعد لكنه شره وليس بعفيف صار المال هواه.

إن العقل والمنطق يدعوان الانسان الى الاهتمام بجمال الباطن أولاً؛ لأن الروح أصل الانسان، وهي أصل بدنه وخصائصه، فإن الجسد هو مسخر للروح وهو طوع أمرها، فهل من العقل أن يهتم الانسان للعبد ويترك السيد.

وفي كربلاء تجلّت هذه الحقيقة، فكان القوم أمتان أمة تطلب الدنيا والجمال الظاهر، وكان الواحد منهم يفعل كل قبيح ومنكر طمعاً في الجائزة والمال ورضا ابن زياد ويزيد وأمثالهما من أئمة الكفر والضلال.

وأمة تطلب الآخرة وجمال الباطن وكان الواحد منهم يضرب أروع الأمثلة في الانسانية والتضحية لأجل الدين والكرامة فيحب الله تعالى ورسوله وأوليائه عليهم السلام.

فالأول ضحى بالأغلى والأثمن لأجل شهوته، والآخر ضحى بالدنيا ومغرياتها لأجل الآخرة وجماله الباطني.

والحسين عليه السلام وأصحابه رسموا للجمال الباطن صوراً عظيمة لم يجد التاريخ مثلها.

أنظر الى الشواهد المقابلة ليعرف الشاب اليوم كيف يكون وبأي لباس وشكل يظهر؟

نلاحظ إن كل من يدعو الناس لاتباعه في المسائل المعنوية الخالصة يلجئا إلى قطع الوعود لهم إلاّ سيد الشهداء عليه السلام هو الوحيد في العالم الذي قال لأصحابه:

(من كان فينا باذلا مهجته وموطن على لقاء الله نفسه فليرحل معنا)[1].

فدعا إلى بذل المهجة وليس الدماء بل دماء القلب؛ لأن المطلوب بذل كل شيء لله تعالى ولحبه والعدالة حتى القلب وما فيه، فبذل المهجة خاص بأصحاب الحسين عليه السلام[2].

هذا هو الجمال المعنوي، وكل من التحق بالحسين عليه السلام

---

(١) الملهوف: ص١٢٦.

(٢) أنظر مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٩٤.

كان إعجازاً في جماله الباطن.

قال الربيع بن تميم الهمداني:

لما رأيت عابساً مقبلاً عرفته، وكنت قد شاهدته في المغازي والحروب وكان أشجع الناس فصحت: أيها الناس هذا أسد الأسود هذا ابن شبيب لا يخرجن إليه أحد منكم فأخذ عابس ينادي: ألا رجل ألا رجل؟ فلم يتقدم إليه أحد فنادى عمر بن سعد: ويلكم!

أرضخوه بالحجارة فرمي بالحجارة من كل جانب، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره خلفه فصيح به عابس جننت؟!

قال قولاّ جنن العالم في فهم ودرك جماله الباطن وصار مثلاً لا يفوقه مثل:

نعم حب الحسين أجنني، ثم شدّ على الناس فو الله لقد رأيته يطرد أكثر من مئتين من الناس، ثم إنهم تعطفوا عليه من حواليه فقتلوه واحتزوا رأسه، فرأيت رأسه في أيدي

الرجال ذوي عدة هذا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول: أنا قتلته فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تختصموا هذا لم يقتله إنسان واحد كلكم قتله ففرقهم بهذا القول[1].

وفي هذا الموقف يتجلى النهجان نهج طلب الدنيا ونهج طلب الآخرة.

فان الجمال المعنوي لعابس دعاه إلى الإقدام على الشهادة والتضحية بلذة الحياة ومغرياتها لأجل الحب والتضحية.

وهؤلاء يتنازعون فيما بينهم على قتل رجل شريف من مفاخر الرجال وساداتهم لأجل المال وجائزة الأمير، وبالنتيجة لم ينل أحد منهم الجائزة، فذهب هو بالعزة والكرامة والنعيم الدائم، وذهبوا هم بالخزي والعذاب الدائم.

وفي بعض المقاتل: لما نزل مسلم دار المختار وبايعه ثمانية

---

(١) إبصار العين: ص٧٤، فرسان الهيجاء: ج١، ص٢٣٩، (٩٤).

عشر ألف مبايع منهم كان عابساً قام فيهم خطيباً وخطبهم خطبة في غاية الفصاحة والبلاغة وعميقة الدلالة، فقد رمى ببصره إلى مسلم قال: أما بعد فإني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في أنفسهم وما أغرّك منهم والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه والله لأجيبنكم إذا دعوتم، ولأقاتلن معكم عدوّكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله لا أريد بذلك إلاّ ما عند الله)[1].

فترك كل مظاهر الدنيا وجمال المادة وكان رئيساً في الشيعة سيداً مطاعاً لأجل الجمال الأخروي.

وفي صفين شهد أمير المؤمنين عليه السلام لبني شاكر قبيلة عابس بأنهم شجعان العرب والمخلصون في ولايتهم (إن بني شاكر لو تمت عدتهم ألفاً لعبد الله حق عبادته)[2].

وفي هذا دلالتان:

---

(١) مقتل أبي مخنف: ص٢٠، فرسان الهيجاء: ج١، ص٢٤٠.

(٢) إبصار العين: ص٧٤، فرسان الهيجاء: ج١، ص٢٣٩.

أحدهما: أنهم بالألف يقيمون دولة الحق مع أمير المؤمنين عليه السلام فيعبد الله تعالى حق عبادته.

ثانيهما: أن بعبادتهم تتحقق عبادة الله تعالى حق العبادة، ويظهر منه أن للألف خصوصية.

ومنهاج أهل الجمال الباطني نأخذه من رواية حماد قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن لقمان وحكمته التي ذكرها الله عز وجل ـ وهذا تعظيم وتجليل أنزله في القرآن وخلده للعالمين يتعلم منه الأولون والآخرون ـ فقال: أما والله ما أوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال ـ أي جمال الظاهر ـ ولكنه كان رجلاً قوياً في أمر الله، متورعاً في الله، ساكتاً سكيناً، عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستغن بالعبر، لم ينم نهاراً قط، ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط ولا اغتسال لشدة تستره وعمق نظره وتحفظه في أمره، ولم يضحك من شيء قط مخافة الإثم، ولم يغضب قط، ولم

يمازح إنسان قط، ولم يفرح لشيء إن أتاه من أمر الدنيا ولا حزن على شيء قط، ولم يمر برجلين يختصمان أو يقتتلان إلاّ أصلح بينهما، ولم يمض عنهما حتى تحاجزا، ولم يسمع قولاً قط من أحد استحسنه إلاّ سأل عن تفسيره وعمن أخذه، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين فيرثي للقضاء مما ابتلوا به، ويرحم الملوك والسلاطين لغرتهم بالله وطمأنتهم في ذلك، ويعتبر ويتعلم ما يغلب به نفسه، ويجاهد به هواه، ويحترز به من الشيطان وكان يداوي قلبه بالتفكر، ويداري نفسه بالعبر، وكان لا يظعن إلاّ فيما يعنيه بذلك بما أوتي الحكمة ومنح العصمة)[1].

ولعل من أبرز الصفات التي أشارت إليها الرواية وإليها تعود باقي الصفات الخمس هي:

---

(١) البحار: ج١٣، ص٤٠٩، قصص لقمان: ج٢، وأنظر تفسير القمي: ج٢، ص١٦٢ سورة لقمان.

١ ـ العفة والاحتشام، فلم يره أحد على حال لا يليق بالكمل من البشر.

٢ ـ الحلم والمسالمة، فلم يغضب ولم يفرح لتوافه الدنيا ولم يحزن لفواتها.

٣ ـ الإصلاح، فهو مصلح بين الناس أينما يجد نزاعاً حله.

٤ ـ التعلم الدائم.

٥ ـ مراقبة قلبه وفكره وأعماله، فيداوي أمراض قلبه بالتفكر، وأمراض عقله ونفسه بالاتعاظ والاعتبار، ويتجنب الفضول في أعماله فلا يظعن إلاّ فيما يهمه، ومثل هذه الصفات تعطيه الجمال الباطني فتعصمه من الذنوب وتملؤه بالحكمة.

وهنا ألفت الأنظار إلى حقيقة، وهي أن جمال الباطن لا يتنافى كلياً مع جمال الظاهر، وإنما يتنافى إذا صار جمال الظاهر هو الغاية والهدف ويقدّم على جمال الباطن.

وأما إذا صار جمال الظاهر مندمجاً بجمال الباطن فهو من الكمال، فإن الله سبحانه يحب لعباده أن يكونوا أصحاب مال وعزة وجمال ظاهري، وحثّهم على الزينة والتزين، وأحب لهم أن يأكلوا أفضل الطعام ويلبسوا أفضل اللباس ويسعدوا بالطيبات من الرزق.

ولكن بشرط أن تندمج بجمال الباطن، فيأكل الطعام الطيب ليس للشره، أو يلبس اللباس الجيد ليس للتفاخر، ولايجمع المال لأجل الطغيان والترف، وإنما لأجل الطاعة وخدمة الخلق ومساعدة المحتاجين، أي يجعل الظاهر والباطن بصورة واحدة، فإن هذا هو الجمال الكامل.

وقد قدّم سيد الشهداءعليه السلام للبشرية نموذجاً راقياً لهذا الجمال خاصة الشباب هو ولده علي الأكبر فإنه كان في عمر (٢٨) سنة ـ على قول ـ لما برز الى القتال قال الحسين عليه السلام : (اللّهم اشهد أنه برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخُلُقاً

ومنطقاً برسولك وكنا إذا اشتقنا إلى لقاء نبيك نظرنا إليه)[1].

وقد أشهد الله تعالى على ذلك للإشارة إلى أنه وفى بعهده مع ربه في التضحية بأعز مالديه، وأنه قدّم أعز مالديه وعند ربه وهو علي الاكبر عليه السلام الذي تجسدت فيه شمائل النبي صلى الله عليه وآله الذي هو حبيب الله وحبيب الحسين عليه السلام.

والملفت أن في النص ورد (إذا اشتقنا إلى لقاء نبيك) وفي بعضها ورد (رؤية نبيك) ودلالة اللقاء أعظم؛ لأنه يشير إلى وحدة الشخصية مع النبي صلى الله عليه وآله وكانوا حينما يريدون اللقاء برسول الله صلى الله عليه وآله ينظرون إلى علي الأكبر عليه السلام.

وقد ذكر المؤرخون في وصف جمال علي الأكبر عليه السلام مع جمال رسول الله صلى الله عليه وآله بعبارات متطابقة تذهل العقول وتأخذ مجامع القلوب:

منها: كأن وجهه أقمر، وجبينه أزهر، وريحه أذكى من

---

(١) الدمعة الساكبة: ج٤، ص٣٢٩، فرسان الهيجاء: ج١، ص٤١٢.

المسك الأذفر، ولفظه أحلى من السكر، وإذا مشي كأنه البدر اذا أبدر.. إلى غير ذلك من الأوصاف المبهرة[1].

ولذا كان وجوده في معسكر الحسين عليه السلام يعطي الأمان والطمأنينة والسكينة الروحية للحسين عليه السلام ولعائلته، ولما توجه إلى الحرب أجتمعت النساء حوله كالحلقة وقلن له: (ارحم غربتنا.. فإنه ليس لنا طاقة على فراقك وارخى الحسين عليه السلام عينيه بالدموع.. ونظر نظرة آيس منه)[2].

وأي غربة لهم والحسين عليه السلام موجود وأبو الفضل والقاسم عليهما السلام وسائر بني هاشم موجودون؟

إنها غربة الرسول صلى الله عليه وآله؛ لأنهم كانوا يشعرون بأنهم يفقدون رسول الله صلى الله عليه وآله وظله الذي كانوا يستظلون به، وشهادة الحسين عليه السلام له بأنه كان يمتلك جمال المنظر

---

(١) أنظر فرسان الهيجاء: ج١، ص٤٠٩، الخصال: ص٥٩٩.

(٢) أنظر الملهوف ص٩٩؛ الدمعة الساكبة: ج٤، ص٣٢٩، نفس المهموم: ص٣٢١.

وجمال الجوهر، فهو أشبه الناس خلقاً برسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وهذا جماله الظاهر، وأشبه الناس به خلقاً وهو جماله الباطني، وأشبه الناس برسول الله منطقاً وهذه جهة أخرى بجماله الباطن المنجذب الظاهر؛ لأن النطق يكشف عن جمال الباطن، فإن في جمال الخلق يكشف العفة والسماحة وكرم الطباع، وبجمال المنطق يكشف عن جمال العلم والحكمة.

وهذا ما يجب أن يسعى له الشباب، وأن يقتدوا بعلي عليه السلام في جمالهم ويكمّلوا أنفسهم ظاهراً وباطناً.

المحاضرة الرابعة

لباس الكرامة والغيرة

تتحدث الدراسات النفسية وعلم النفس الاجتماعي عن الشخصية الانسانية، وتقسم الناس من حيث قوة الشخصية وضعفها على مراتب ثلاث، وبعضهم يعدّها أربع، فبعض الناس قوي الشخصية، وبعضهم متوسط، وبعضهم مهزوز أو ضعيف.

ولكل واحد منها علائم تدل عليها فالشخصية القوية تتميز بأمور:

الأول: الهدفية، أي لها هدف في الحياة تسعى للوصول إليه، ولا مانع من أن يكون لها أكثر من هدف تسعى له جميعاً في عرض واحد أو بالطول فتعمل لأهدافها على

مراحل.

الثاني: الأصالة في الفكر والموقف والاعتزاز بالكرامة الشخصية، فلا تتأثر بالاجواء والضغوطات المائعة.

الثالث: العقلانية في التعامل مع الأمور، فلا تقدم على عمل إلاّ بعد دراسة في فوائده ومضاره والطرق الموصلة إليه.

الرابع: الاستقلالية في القرار وعدم الانقياد للغير دون دراية.

وفي مقابل ذلك الشخصية الضعيفة فإنها تكون بلا هدف تائهة متحيرة ولا تملك أصالة في الفكر، وإنما تتبع الغير بلا فهم ولا معرفة، وتنطلق في أعمالها ومواقفها من الشهوة والرغبة وهي بالمحصلة خاضعة لإيحاءات الغير ومنقادة لهم.

ويمكن تقريب هذه الحقيقة ببعض الأمثلة:

في طلاب المدرسة نجد شاباً يهتم بدرسه ويدخل المدرسة والجامعة ليتعلم، وفي نفس الوقت يهتم بترفيهه، فيعطي

للعلم والتعلم حصة من وقته واهتمامه، ويعطي للترفيه حصة من وقته واهتمامه، وهذا متوسط في منهجه وينجح في حياته، ولكن لا يكون متفوقاً بالضرورة.

وإذا اهتم أكثر من ترفيهه صار متفوقاً، وإذا أهتم بترفيهه ولهوه ولعبه أكثر من علمه وكان منقاداً لأصحابه دون إرادة ووعي فهو ضعيف ومستقبله ضائع، ولا يصل إلى مكان مرموق حتى إذا أمتلك شهادة جامعية في الطب أو الهندسة، فإنه سيكون طبيباً عادياً وليس مبدعاً خلاقاً هذا في الجانب العلمي.

وفي الجانب الشخصي فإن اللباس الذي يلبسه الشاب فانه يكشف عن شخصيته وكرامته، فإذا لبس الملابس الأنيقة المحتشمة فهو متوسط، وإذا كانت ملابسه أكثر احتشاماً كان متفوقاً في غيرته وعفته، وإذا كانت جميلة دون أن يراعي الاحتشام والعفة فهو مهزوم ولا يشعر بقوة في شخصيته وكرامته، وعلماء النفس يقولون إن عدم

احتشام الملابس أو أي تصرف شاذ جاذب للنظر يعود الى سببين:

أحدهما: عدم مبالاة الشخص باحترامه الشخصي أمام الآخرين.

ثانيهما: شعوره بالنقص فيريد أن يتميز عن الآخرين أو يجلب انتباههم له وعلى حد قولهم (خالف تعرف).

وفي كلا الحالتين هو ضعيف الشخصية ولا يملك شخصية وازنة.

وحتى في المفردات التي يستعملها الشخص، فإن الشخصية القوية الواثقة تستعمل لغتها الأصلية، وتعبر بمفردات اللغة الأم كالعربية في اللغة العربية.

فإذا تمسك الشخص العربي بلغته وعبر عن الأشياء بمفردات لغته كان من علائم أصالته وثقته بنفسه، وإذا خلط معها مفردات أجنبية وأراء التعبير عن الشيء عبر المفردة الأجنبية وأعرض عن العربية كشف عن ضعفه

وعدم ثقته، فحاول أن يكتسب قوة من غيره، فيتخلى عن أصالته ولايبالي أن يتأثر بالغير، وهذه الحقيقة تلاحظ في سياسات الدول الاستعمارية فإنها تحاول أن تنشر لغتها في البلاد التي تحتلها أو تسعى للتأثير عليها ؛ لأن اللغة مدخل الثقافة والفكر والعادات والتقاليد.

ولذا نلاحظ أن الأمم القوية تعتز بلغتها ولا تسمح بالتكلم بغير لغتها ولا تتعامل بغير قيمها، وهذه حقيقة داخلة في مختلف جوانب الحياة حتى لون الطعام وأسلوب السلام والتحية والمجالس التي تعقد وقصات الشعر إلى غير ذلك، فإن الناس يقيّمون إلى شخصيات قوية وضعيفة ومتوسطة، وكذلك المجتمعات، فهناك مجتمعات ضعيفة الشخصية فتقبل اللغة والعادات والتقاليد الواردة إليها من الغير وتتبعها دون دراية وفهم، ولا توازن بين الصحيح وغير الصحيح.

القرآن الكريم يعلمنا ضرورة الاعتدال في المسير في كل

جوانب الحياة إذ يقول تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾[1].

والقصد الإرادة والطلب، وتطلق على التوازن والاعتدال؛ لأن فيها القناعة دون افراط وتفريط.

والمشي الحركة بالإرادة من مكان إلى مكان[2].

وهو من أضعف السير؛ لأن السير يطلق على الحركة البدنية والفكرية قال تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾[3].

أي سيروا بأبدانكم وأفكاركم لأجل التعلم والاعتبار، أما المشي فيطلق على الحركة البدنية، وتسمى تفاصيل حياة النبي صلى الله عليه وآله وطريقته وسننه سيرة؛ لأنها تشمل حركة

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٩.

(٢) المعجم الوسيط: ج٢، ص٨٧٢ (مشى).

(٣) سورة الأنعام: الآية ١١.

الأعمال والأقوال والمعارف[1].

والغض الكف والنقص[2] .

وغض البصر كفّه وانقاصه لكي لا يرى مالا يحل له، والصوت كل ما يطرق الأذن ويمررها سواءّ الأذن الجارحة كالكلام أو ما تطلقه الأجسام كصوت الطبلة أو الجانحة كالفكرة ولذا يقال للأمر المنطقي إن هذا صوت العقل وصوت الضمير.

والآية تضمنت أمرين وتعليل.

الأول: القصد في المشي أي الاعتدال في الحركة والفعل.

الثاني: كف الصوت المرتفع النشاز.

وتعليله بأنه نكرة يضاهي صوت الحمير الذي تشمأز منه الأسماع.

ولعل التعليل يعود للاثنين فيشمل المشي النكرة والصوت

---

(١) أنظر المعجم الوسيط: ج١، ص٤٦٧ (سار).

(٢) معجم مقايس اللغة: ص٧٧١ (غض).

النكرة، فالتشبيه كذلك يعود على الاثنين، والوجه في ذلك يعود لسببين:

الأول: لأن عقل الانسان ومكانته وكرامته تستدعي أن يكون معتدلاً في مشيه وطريقته، فإذا كان مشيه عن تقليد أعمى للغير دون قصد وإرادة منه كان مشيه كمشي الحمار يقوده صاحبه حيث يريد.

الثاني: لأن كرامة الانسان تستدعي أن ينطلق في أفكاره ومعتقداته ومواقفه عن اعتدال وموازنة، فيغض صوت عقله وفكره كما يغض صوت لسانه ويكفهما عن الافراط والتفريط.

ومن دقة المعنى ربطت الآية بين القصد في المشي والقصد في الصوت؛ لأن البدن يمشي إلى مطلوبه عبر الحركة، والفكر يصل الى مطلوبه عبر الصوت، فالانسان يصل إلى مطلوباته المادية عبر المشي والحركة، وإلى مطلوباته الروحية عبر الصوت بمعناه العام الذي يشمل الفكر، ولا يصل إلى

ذلك إلاّ إذا اقتصد فيهما، فكان معتدل المسير بدنياً وروحياً وهذه قاعدة عظيمة بيّنها الباري عز وجل في القرآن.

ففي لباسه ولغته ومسيره يعتد بنفسه ويكون وازناً، وفي أفكاره ومعتقداته، فلا يتبع كل لباس جاء أو كل مفردة وردت ولا يتلقى كل فكرة جاءت، وإنما يكون شخصاً مستقلاً عاقلاً يراعي في لباسه العفة والاحتشام والادب وكذا في سائر شؤونه.

فلو وقع بالافراط والتفريط في أعماله أو أفكاره صار نكرة وكان صوته كصوت الحمير تشمأز منه النفوس وتنفر منه الطباع.

ومصاديق هذه الحقيقة كثيرة:

منها: الإعلام الكاذب الذي يخدع الناس ويضللهم ويجعلهم عبيداً للمال والسلطة هو نكرة تشمأزه الطباع.

ومنها: الأفكار الشاذة التي ينشرها البعض بدعوى التحرر وحرية الرأي أو الحداثة.

ومنها: الموديلات في الملابس والعادات السيئة التي يستوردها البعض وهي تتنافى مع مبادىء وقيم أهل البلاد.

ومنها: نوادي المنكر التي يسودها العصيان وهكذا.

ولا يتصور البعض أن التشبيه بصوت الحمير هو ذم للحمير كلا، فإن صوت الحمير من خلق الله سبحانه اعطى هذا الصوت لها لحكم عالية فهي صفة كمال لها.

فإن الحمار قصير غير مرتفع كالجمل فإذا خرج لطلب المرعى ربما ستره تل أو شجرة فلا يهتدي إليه صاحبه إلاّ إذا نهق، وكذلك الحمار إذا صار في طريق ولم يدركه صاحبه فيضيع عليه وبنهيقه يعرف مكانه.

ويقال ان الحمار يمتاز عن سائر الحيوانات في أن صوتها تسبيح وذكر، وقيل أن الحمار ينهق إذا رآى شيطاناً[1].

وفيه تعليم للانسان لكي يتحذر من أضراره، ونلاحظ

---

(١) نفحات الرحمان: ج٥، ص١٢٣: روح البيان: ج٧، ص٨٧.

أن صوت الحمير بالنسبة لها كمال، ولكن إذا صار الانسان يمشي بلا عقل ولا فهم ومعرفة، أو يحمل أفكاراً أو عقائد، أو يقوم بأعمال نشاز عارية عن الاعتدال فإنه يكون منكراً مذموماً.

فالذم الوارد ليس للحمار بل للانسان الذي يحمل صفاته ولذا شبه الباري عزّ وجل العالم الذي لا يعمل بعلمه والمنافق كذلك بالحمار، ولكن لم يشبههم بذات الحمار بل بمثله، فقال سبحانه: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[1].

فإن هذا الذم ليس للحمار؛ لأن وظيفته الحمل، وإنما يذم البشر الذي يحمل معه كتاب الله تعالى ولا يعمل به؛ لأن مهمة البشر أن يفقه ويتعلم ويرتقي لا أن يحمل ثقلاً.

فالاعتدال في كل شيء امر حسن ولازم في المشي وفي الفكر وفي القول وفي المظهر الخارجي كاللباس والمعاشرة.

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٥.

وهذا ما يجب أن نفعله في عاشوراء أيضاً، فقد ورد عن الطبري والكامل: أن الحسين عليه السلام لما بقي وحيداً ومعه ثلاثة أو أربعة وأراد الشهادة دعا بسراويل محققة يلمع فيها البصر ففرزه ونكثه لكيلا يسلبه، فقال له بعض أصحابه: لو لبست تحته تباناً قال: ذلك ثوب مذلة لا ينبغي لي أن ألبسه[1].

والثوب المحقق المحكم النسج.

وفي رواية السيد في الملهوف أنه عليه السلام قال: ابغوا لي ثوباً لا يرغب فيه أجعله تحت ثيابي لئلا أجرد منه فأتي بتبان

فقال: لا ذاك لباس من ضربت عليه الذلة، فأخذ ثوباً خلقاً فخرقه وجعله تحت ثيابه فلما قتل جردوه منه[2].

والتبان سراويل قصيرة الى الركبة أو ما فوقها تستر

---

(١) تاريخ الطبري: ج٧، ص٣٦٤؛ الكامل: ج٤، ص٧٧، نفس المهموم: ص٣٧٤.

(٢) الملهوف: ١٠٩.

العورة[1].

وواضح أن لبسها أمام الناس مخالف للعفة والغيرة على النفس.

وقوله عليه السلام: (ثوب مذلة)؛ لأن فيها هتك حرمة الرجل واختراق حشمته، ولا يفعله صاحب الحمية والكرامة.

وفي رواية السيد (لباس من ضربت عليه الذلة) يشير إلى معنيين:

الأول: الناس عديموا الغيرة والعفة على أنفسهم.

الثاني: اليهود والنصارى والمغضوب عليهم بشهادة القرآن في بعض الآيات؛ إذ تعد على أأنهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة.

قال تعالى في قوم موسى ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[2] بسبب كفرهم وجحودهم.

---

(١) المعجم الوسيط: ج١، ص٨٢ (تبن).

(٢) سورة البقرة: الآية ٦١.

وربما يستفاد من قول سيد الشهداء عليه السلام ومن الآية أن لباسهم ولباس عديمي الغيرة في ذاك الزمان كان التبان ؛ لأن دائهم اظهار الفقر بين الناس وإن كانوا أهل ثروة[1].

في صدر الإسلام كانوا يفعلون ذلك مع عدالة النبي صلى الله عليه وآله ؛ لأنهم كانوا يريدون التهرب من دفع الجزية فكانوا يلبسون الملابس القصيرة والقذرة ويقفون في مواقف الذل والمهانة[2].

وهذه طبيعة راسخة فيهم، لذا قال تعالى ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ بصيغة المبني للمجهول للإشارة إلى دوام هذه الصفة فيهم، وعبّر عنها بالضرب للإشارة إلى أنها طبيعة ظاهرة عليهم كما يظهر الطبع على السكة، وكأنه يصفهم بالذلة وأنها كاللباس الظاهر عليهم الذي طبعت عليه سجاياهم، وهم في هذا الزمان يحملون ذات الصفات، فلا يبالون بغيرة

---

(١) نفحات الرحمان: ج٢، ص٥٧.

(٢) تفسير الشعراوي: ج١: ص٣٠٧.

ولا بعفة في لباسهم ومظاهرهم.

وقد صيّروا بنفوذهم الاقتصادي والسياسي هذا اللباس معهوداً لدى الشباب فصاروا يلبسون الملابس القصيرة والممزقة بدعوى أنه (موديل)، وهو في واقعه يهتك حرمة لابسه وينتقص من عزته وكرامته ويهدم عفته وغيرته، ومن العجيب للشباب المسلم الغيور أن يقلدهم في هذا، وإن إمامهم الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة وهو ذاهب الى الشهادة يأبى أن يلبس لباسهم أو لباساً فيه الذلة، وذلك تعليم للبشر في عظمة الكرامة الشخصية ووجوب السعي لإعزاز النفس حتى في ساعة الشهادة.

وفي الوداع الأخير جاء الحسين عليه السلام إلى أهل بيته وجراحاته تشخب دماء، فأحاطته النساء والأطفال، فكان آخر نداء يوجهه للعالم عبرهن أن ألبسوا لباس الغيرة والكرامة والشرف ولا تدعوا الأعداء يخلعونكم ثياب الاصالة والقيم الدينية فقال لهن:

(البسوا أزركم واستعدوا للبلاء واعلموا أن الله حاميكم وحافظكم وسينجيكم من شرّ الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلى خير.. فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم)[1].

أيها الشباب هذه رسالة إمامكم فما أنتم صانعون؟!

---

(١) مقتل المقرم: ص٣٣٧.

المحاضرة الخامسة

الوجهاء بالحسين عليه السلام

لو سأل سائل ما هي أسرع مدّة طواها البشر في الارتقاء من الثرى إلى الثريا؟

وما هي أقصر فترة للوجاهة نالها البشر على وجه الأرض دون طي مقدمات طويلة في العلم أو في المال والثروة، أو في المناصب أو في الانجازات والفتوحات؟

وما هي أعظم كرامة نالها البشر في حياته الدنيوية والأخروية؟

الى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة.

سيكون الجواب واحد للجميع وهو ما ناله أصحاب الحسين عليه السلام من الوجاهة عند الله تعالى وعند أوليائه وعند

الناس، والمراد بالوجاهة القدر والمنزلة حتى صار وجهاً يتوجه إليه الناس بقلوبهم وعقولهم لنيل المقاصد[1].

فهي وجاهة أختصرت الزمان والطاقات والمواهب، وقبض فيها الزمان وانبسط في الارتقاء، فكم المدة بين الحر الرياحي والوجاهة التي نالها بالحسين عليه السلام؟

إنها بضع ساعات.

وكم المدة بين وهب النصراني وأمه وزوجته لما أسلم على يد الحسين عليه السلام وذهب إلى الشهادة؟

إنها بضعة أيام.

وهذه في مسيرة تربية النفوس وتهذيبها من المعجزات التي لا تحصل إلاّ بإرادة ربانية خاصة ولطف خاص، وهذا ما يجب أن يلتفت إليه الشباب.

فإن الوجاهة الحقيقية التي يطلبها لا يجدها إلاّ عند

---

(١) أنظر مجمع البحرين: ج٦، ص٣٦٦، (وجه)؛ المعجم الوسيط: ج٢، ص١٠١٥ (وجه).

الحسين عليه السلام عندها تذوب سائر الوجاهات أو لا تعد وجاهة.

والملفت أيضاً أن أصحابه كانوا يبتدأون مرحلة الوجاهة باسم الحسين عليه السلام ويختمونها بالسلام باسمه، فكل واحد منهم كان إذا برز إلى القتال يقف عند الحسين عليه السلام يسلّم ويستأذن للقتال فيبرز؛ لأن رحلة الخلود عند عرش الله تعالى تحتاج إلى إذن، وإذا نال الشهادة ختم رحلته بالسلام عليه، وهذا أمر فيه الكثير من الأسرار[1].

فهم يبدأون رحلتهم لوجه الحسين عليه السلام ووجاهته ويختمون بوجهه ووجاهته.

وفي الحديث عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله: (من كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله دخل الجنة)[2].

وهؤلاء ذكروا اسم الحسين عليه السلام وبعثوا له سلاماً، وبهذا

---

(١) أنظر البحار: ج٣٥، ص٣١ نفس المهموم: ص٣١٥.

(٢) الفقيه: ج١، ص١٣٢.

الاسم نالوا أعظم الدرجات والمقامات الإلهية، لأنهم ذابوا وانقطعوا فلم يروا غير الحسين عليه السلام، وأنّ به تجلت كلمة التوحيد، وبه بلغوا ذروة العبادة والانقطاع، وأظهروا للمسلمين حقيقة المعرفة، وأن معرفة الله وتوحيده والعبودية له تتلخص في الكون مع الحسين عليه السلام في المبدأ والختام، والتضحية بكل غال لأجله.

فقد بلغوا الغاية في العطاء والغاية في الوجاهة والجزاء، وهذا ماشهد به الأعداء.

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد:

ويحك أقتلتم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال: عضضت بالجندل ـ أي أمسكت بالحجرة القاسية ـ[1].

---

(١) أنظر المعجم الوسيط: ج١، ص١٤٠ (جندل)؛ مجمع البحرين: ج٥، ص٣٣٦ (جدل).

لو شهدت ماشهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها فما كنا فاعلين لا أم لك[1].

وقريب من هذا قاله الشيخ أبو عمرو الكشي في وصف أصحابه عليهم السلام[2].

وفيما قاله الرجل ملاحظتان:

الأولى: توهم أن أنصار الحسين عليه السلام قاتلوا وضحوا لأجل بلوغ الملك وهذا فهم خاطيء روّجته السلطة وهو كان من أتباعها، فإنهم قاتلوا لتكون كلمة الله تعالى هي

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٢٦٣.

(٢) رجال الكشي: ص٧٩، نفس المهموم: ص٣١٦.

العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

والثانية: أنه برر موقفه وموقف جيش بني أمية في أعظم جناية وهذا باطل عقلاً وشرعاً، فإنه لا عذر لأحد في قتل أولياء الله تعالى لأجل الدفاع عن الظلمة والجبابرة.

ولكن كلامه وثيقة تأريخية تفسر الكثير من الأخبار والوقائع التي ذكرتها كتب المقاتل، وأن الواحد من أصحاب الحسين ومن أهل بيته كان يقتل المائة وأكثر.

وهو ما تقتضيه قواعد علم النفس، فإن القتال ليس بكثرة العدد والسلاح، بل قوة الإرادة والإيمان بالهدف الذي يقاتل من أجله، والفرق كبير بين من يقاتل لأجل رضا الله تعالى والجنة ومن يقاتل لأجل المال وزيف الدنيا في قوة الإقدام والبسالة والصبر.

والفرق كبير بين من باع الدنيا والمال وحب الموت والشهادة وبين من اشترى الدنيا، والإيمان الحق والبصيرة النافذة والمواقف البطولية تعطي وجاهة لأصحابها، فكيف

إذا كانت لأجل الحسين عليه السلام وأهل بيته؟

وهذه الحقيقة أدركها الأنبياء عليهم السلام والاولياء فكانوا يظهرون تعاطفهم مع الحسين عليه السلام ويواسونه بدموعهم ودمائهم، وقد نالوا بهذا الموقف وجاهة عظيمة خلّدها الله تعالى في القرآن دون غيرهم.

وفي رواية إسحاق بن عمار قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (ليس نبي في السماوات إلاّ ويسألون الله تعالى أن يأذن لهم في زيارة الحسين عليه السلام ففوج ينزل وفوج يصعد)[1].

لماذا يستأذنون ويصعدون وينزلون في طول الوقت؟

والجواب: لأن بذلك الوجاهة لهم عند الله تعالى فآدم أول الأنبياء مر بكربلاء وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام، وسال الدم من رجليه موافقة لدم

---

(١) كامل الزيارات: باب ٣٨، ح١.

الحسين عليه السلام، ولعن قاتله أربع مرات[1].

ونوح كذلك مرّ ولعن قاتل الحسين عليه السلام أربع مرات[2].

وإبراهيم مرّ بها وعثر بها فرسه وسقط وشجّ رأسه وسال دمه موافقة لدم الحسين عليه السلام ولعن يزيد لعنا كثيراً[3].

ومثل ذلك إسماعيل وموسى وسليمان وعيسى عليهم السلام[4] وغيرهم.

وقد ورد في الأخبار أن موسى عليه السلام كثيراً ما كان يذكر الحسين عليه السلام وروحه تزوره بعد شهادته.

وفي كامل الزيارة عن الحسين ابن بنت أبي حمزة الثمالي قال: خرجت في آخر زمان بني مروان إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام مستخفياً من أهل الشام حتى انتهيت إلى كربلاء

---

(١) البحار: ج٤٤، ص٢٤٢، ح٣٧، العوالم: ص١٠١، ح١.

(٢) البحار: ج٤٤، ص٢٤٣، ح٣٨.

(٣) المصدر نفسه: ح٣٩.

(٤) البحار: ج٤٤، ص٢٤٣ الاحاديث ٤٠ ـ ٤٣.

فاختفيت في ناحية القرية حتى إذا ذهب من الليل نصفه أقبلت نحو القبر فلما دنوت منه أقبل نحوي رجل فقال لي:

انصرف مأجوراً فإنك لا تصل إليه، فرجعت فزعاً حتى إذا كان يطلع الفجر أقبلت نحوه حتى إذا دنوت منه خرج إليّ الرجل فقال لي:

ياهذا إنك لا تصل إليه، فقلت له:

عافاك الله ولم لا أصل إليه وقد أقبلت من الكوفة أريد زيارته فلا تحل بيني وبينه وأنا أخاف أن أصبح فيقتلوني أهل الشام إن أدركوني ها هنا قال:

اصبر قليلاً فإن موسى بن عمران عليه السلام سأل الله أن يأذن له في زيارة قبر الحسين بن علي عليهما السلام فأذن له فهبط من السماء في سبعين ألف ملك، فهم بحضرته من أول الليل ينتظرون طلوع الفجر ثم يعرجون إلى السماء.

قال: فقلت له: فمن أنت عافاك الله؟

قال: أنا من الملائكة الذين أمروا بحرس قبر الحسين عليه السلام

والاستغفار لزواره فانصرفت وقد كاد أن يطير عقلي لما سمعت منه[1] .

وفيه دلالات هامة :

الأولى: أن زيارة الحسين عليه السلام تحتاج إلى إذن من الله سبحانه لأهل السماوات حتى الملائكة والأنبياء عليهم السلام ، وهذا يفسر لنا سر إذن الدخول في زيارته لأهل الأرض.

والسبب أن الحضور عنده مقام معنوي عظيم لا يناله إلاّ من أستاذن.

الثانية: أن الملك منع الزائر بسبب وجود موسى عليه السلام والملائكة قد يعود الى أنه كان في وقت ارتباط عالم الملك بالملكوت، فإذا أتصل به من هو في عالم الملك يفنى ويختل أو يضر بمن هو في عالم الملكوت، وفيها دلالة على وجاهة خاصة لموسى عليه السلام تميز بها عن غيره من الأنبياء عليهم السلام .

---

(١) كامل الزيارات: الباب ٣٩، ح٢.

الثالثة: أن بقاء الزائر عند الحسين عليه السلام إلى صلاة الفجر أمر محبوب، وأن وقت الليل كله وقت ارتباط الملكوت بقبر الحسين عليه السلام وتصعد به الأعمال والأدعية.

وقد ورد في الأخبار أن الحق تعالى ذكر الحسين عليه السلام لموسى عليه السلام قال له: ياموسى أعفو عمن أستغفرني إلاّ قاتل الحسين عليه السلام.

قال موسى: يارب ومن الحسين؟

قال له: الذي مرّ ذكره عليك بجانب الطور[1].

قال يارب: ومن يقتله؟

---

(١) وفي تفسير القمي عن الصادق عليه السلام إن الحق ناجى موسى عليه السلام وكان مما ناجاه: (ياموسى إني لا أقبل الصلاة إلاّ ممن تواضع لعظمتي.. وعرف حق أوليائي وأحبائي وعرفه على رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله فقال موسى: يارب اجعلني من أمته.

فقال له: ياموسى أنت من أمته اذا عرفته وعرفت منزلته ومنزلة أهل بيته.. فمن عرفهم وعرف حقهم جعلت له عند الجهل علماً وعند الظلمة نوراً أجيبه قبل أن يدعوني وأعطيه قبل أن يسألني..) تفسير القمي: ج١، ص٢٤٤.

قال: أمة جده الباغية الطاغية في أرض كربلاء، وتنفر فرسه وتحمحم وتصهل وتقول في صهيلها: الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها، فيبقى ملقى على الرمال من غير غسل ولا كفن وينهب رحله، وتسبى نساؤه في البلدان، ويقتل ناصره، وتشهر رؤوسهم مع رأسه على أطراف الرماح.

ياموسى: صغيرهم يميته العطش، وكبيرهم جلده منكمش، يستغيثون ولا ناصر، ويستجيرون ولا خافر..

فبكى موسى عليه السلام وقال: يارب وما لقاتليه من العذاب؟

قال: ياموسى عذاب يستغيث منه أهل النار بالنار لا تنالهم رحمتي ولا شفاعة جده، ولو لم تكن كرامة له لخسفت بهم الأرض.

قال موسى: برئت إليك اللّهم منهم وممن رضي بفعالهم.

فقال سبحانه: ياموسى كتبت رحمة لتابعيه من عبادي،

واعلم أنه من بكى عليه أو أبكى أو تباكى حرمت جسده على النار)[1] .

وقوله كبيرهم جلده منكمش أي متجمع من شدة الجفاف في البدن[2].

والخافر الحامي والمجير[3].

وفيه دلالتان لخدمة الحسين عليه السلام:

الأولى: أن لهم رحمة إلهية خاصة بسبب متابعتهم له، واقتدائهم بالحسين عليه السلام، وهذا ما يجب أن يلتفتوا إليه، فإن عنوان خادم الحسين عليه السلام سمة عظيمة يتمناها ملائكة الله تعالى، وهذا العنوان لا يأتي لمجرد حب الحسين عليه السلام، فإن الذين يحبون الحسين عليه السلام كثيرون فوق حد الاحصاء، والسماوات والأرض تحب الحسين عليه السلام ولا يأتي من بذل

---

(١) المنتخب في جمع المراثي والخطب: ص٢٨٤؛ البحار: ج٤٤، ص٣٠٨.

(٢) أنظر المعجم الوسيط: ج٢، ص٧٩٨ (كمش).

(٣) المعجم الوسيط: ج١، ص٢٤٦ (خفر).

المال في طريق الحسين عليه السلام فقط، ولا من الوقوف في المواكب، وإنما في المتابعة للحسين عليه السلام هذا هو الذي كتبه الباري لهم عزّ وجل.

وفي اللغة يقال: تبع الشيء أي سار في أثره، ويقال: تبع المصلي الإمام أي حذا حذوه واقتدى به[1].

وهذا الاتباع معنى عام يسري في القول واللسان وفي النوايا وفي الجوارح والجوانح، وعلى قدر الاقتداء والاتباع تكون الرحمة الإلهية.

فإن بعض الخدام ينالون شرف النصرة ويقبلون في عداد أنصار الحسين عليه السلام، وبعضهم في عداد الموالين، وبعضهم في عداد المحبين، ونعوذ بالله سبحانه من فئة يفعلون ما ينفر الحسين عليه السلام منهم، وينبغي أن يلتفت أهل الإيمان إلى أن الخدمة للحسين عليه السلام لا تحسب بالحسابات المادية، فربّ

(١) المعجم الوسيط: ج١، ص٨١ (تبع).

عمل قليل يقدمه المؤمن مع المتابعة الصادقة تلحقه بأنصار الحسين عليه السلام الذين تنحني لكرامتهم السماوات والأرض.

ففي الخبر الذي يرويه العلامة المجلسي في البحار والشيخ التستري في الخصائص الحسينية أن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله رأى يوماً صبياً في الطريق فجلس وأخذ يلاطفه فسئل عن ذلك؟

فقال: إني أحبه؛ لأنه يحب ولدي الحسين عليه السلام؛ لأني رأيت أنه يرفع التراب من تحت أقدامه ويضعه على وجهه، وأخبرني جبرئيل أنه يكون من أنصاره في واقعة كربلاء[1].

وهذا يعطينا عمق معنى الخادم أن تذل نفسك وتذل كبرياءك لأجل الحسين عليه السلام، وأن لا تعمل بظنونك وأهوائك باسم الحسين عليه السلام.

ولعل البعض يرى أنه لم يفعل شيئاً فما قيمة التراب حتى يبلغ بصاحبه هذا المقام الذي يطلبه الأولون والآخرون؟

---

(١) البحار: ج٤٤، ص٢٤٢، ح٣٦، الخصائص الحسينية: ص٥٣.

ولكنه غفل أن هذا التراب صار على وجهه من حب الحسين عليه السلام وأنه منتم للحسين عليه السلام وما ينتمي للحسين عليه السلام يصبح من الملكوت ويكون له وجاهة، وبهذا العمل القليل تحول الصبي إلى ناصر للحسين عليه السلام وهو مقام يتمناه كل الأنبياء والأولياء وهو صفة حجة الزمان عجل الله فرجه الشريف.

وقد ورد في الزيارة الشريفة التي يذكر فيها عليه السلام أسماء الشهداء وبعض أحوالهم:

(السلام على سعد بن عبدالله الحنفي القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف، لا والله لا نُخليك حتى يعلمَ الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لو أعلم أني أقتل ثم أحيا ثم أُحرق ثم أُذرى ويفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي موتة أو قتلة واحدة ثم هي بعدها الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً..

فقد لقيتَ حمامك وواسيت إمامك ولقيت من الكرامة

في دار المقامة، حشرنا الله معكم من المستشهدين ورزقنا مرافقتكم في أعلى عليين)[1].

فأي وجاهة وكرامة هذه التي يدعو لها صاحب الزمان عليه السلام ويسأل الله أن يحشره معهم ويحسبه من المستشهدين فيهم؟

وفي ذلك إشارة إلى أن من الناس من يلتحق بركب الحسين عليه السلام بحسب مواقفه.

الثانية: أن الدموع التي يذرفها الباكون على الحسين عليه السلام تحرّم أبدانهم على النار وهذا:

١ ـ إما من باب الأثر التكويني والخصوصية للدفع نظير بعض المواد التي تطفيء النار.

٢ ـ وإما من باب الفضل الإلهي والتكريم الخاص.

٣ ـ وإما من باب الوجاهة عند الله تعالى، فإن العيون

---

(١) البحار: ج٤٥، ص٧٠؛ نفس المهموم: ص٢٩٠.

التي تبكي على الحسين عليه السلام تكون وجيهة عند الله تعالى، والجسد الذي يركض في عزاء الحسين عليه السلام، والصدر الذي يلطم، واللسان الذي يذكر مصيبة الحسين عليه السلام، والأيدي التي تعمل في مآتم الحسين عليه السلام تصبح وجيهة عند الله عزّ وجل فيحرّمها على النار.

وحتى الطيور التي ترتبط بالحسين عليه السلام وتلعن قاتله تنال وجاهة بين الطيور عند آل محمد عليهم السلام وشيعتهم كالطيور الراعبية[1]، كما ورد عن الصادق عليه السلام .

وفي الكافي بسنده عن داود بن فرقد قال: كنت جالساً في بيت أبي عبد الله عليه السلام فنظرت إلى حمام راعبي يقرقر طويلاً فنظر إليّ أبو عبد الله عليه السلام فقال: (يادواد تدري ما يقول هذا الطير؟

قلت: لا والله جعلت فداك.

---

(١) الكافي: ج٦، ص٥٤٧.

قال: يدعوا على قتلة الحسين عليه السلام فاتخذوه في منازلكم)[1].

واتخاذه في البيوت نوع وجاهة وتقدير له.

والسؤال الذي ربما يخطر في الأذهان ماهو سر هذه الوجاهة ولماذا كل شيء ينتمي للحسين عليه السلام يكتسب العظمة والتكريم؟

والجواب:

لأن الحسين عليه السلام جعل لكل شيء يتعلق بالله عز وجل وجاهة، فجعل لأنبياء الله عليهم السلام وجاهة، وللقرآن وجاهة، وللنبي محمد صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ولذكر الله تعالى وجاهة، ولاسمه تعالى وجاهة، ورسّخ العبودية له سبحانه في القلوب، وعلم العباد حقيقة العبادة والعبودية والتضحية بأغلى الاشياء لأجلها، وكيف يضحي الناس بأرواحهم

---

(١) الكافي: ج٦، ص٥٤٧.

لأجل توحيد الله تعالى وطاعته وقد بلغ في ذلك الغاية العظيمة..

وفي مقابل ذلك أذل وجاهة الكفر والطغيان والشيطان، وقد ورد عن الرضاعليه السلام (من نظر الى الفقاع أو الشطرنج فليذكر الحسينعليه السلام وليلعن يزيد وابن زياد يمحو الله عزّ وجل بذلك ذنوبه ولو كانت بعدد النجوم)[1].

لأن يزيد كان شارب للخمر وابن زياد فاسق فاجر يعمل بالحيلة والغدر وهي صفة الشطرنج، وبذكر الحسينعليه السلام ولعنهما تسقط وجاهتهما.

وقد عظّم وجه الله تعالى وذكره في دعائه في يوم عاشوراء وهو مثخن بالجراح قال فيه: (اللّهم أنت متعالي المكان عظيم الجبروت شديد المحال غني عن الخلائق عريض الكبرياء قادر على ما تشاء.. شكور إذا شكرت وذكور إذا

---

(١) عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج٢، ص٢٢؛ البحار: ج٤٤، ص٢٩٩.

ذكرت أدعوك محتاجاً وأرغب إليك فقيراً وأفزع إليك خائفاً وأبكي إليك مكروباً وأستعين بك ضعيفاً وأتوكل عليك كافياً..).

وكان الصادق عليه السلام يدعو به في اليوم الثالث من شعبان ذكرى ولادة الحسين عليه السلام[1].

وفي تاسوعاء لما زحف الأعداء على مخيمه بعث إليهم العباس عليه السلام ليؤخرهم إلى غد، وقال: (لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار له)[2].

وكان لمعسكره في تلك الليلة دوي كدوي النحل من الصلاة والتلاوة وهم ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد[3].

فالحسين عليه السلام جعل الوجاهة والوقار لله عزّ وجل،

---

(١) مفاتيح الجنان: ص٢١٦.

(٢) البحار: ج٤٤، ص٣٩١ باب ٣٧، تذكرة الشهداء: ص١٤٧.

(٣) المنتخب: ج٢، ص٤٣٠، المجلس التاسع؛ تذكرة الشهداء: ص١٥٠.

ولاسمه وذكره هذا عهد بينه وبين الله عزّ وجل، وفي مقابل ذلك اعطاه الوجاهة في كل شيء فصار كل من يرتبط بالحسين عليه السلام يرتقي ويكون وجيهاً محبوباً كثير الخير والبركة.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[1].

وقد أكد هذا العهد في آخر لحظات حياته الشريفة لما أخذه نزف الدماء أخذه بيده فلما امتلأت لطّخ بها رأسه ولحيته وقال هكذا أكون حتى ألقى جدّي رسول الله وأنا مخضوب بدمي[2].

ووفّاه الله سبحانه عهده في زيارة عاشوراء التي هي حديث قدسي عن الله تبارك وتعالى، وألفت جميع الأنبياء والأولياء والبشرية عامة إلى أن الوجاهة عند الله تعالى تكون بالحسين عليه السلام جاء فيها:

(اللّهم اجعلني عندك وجيهاً بالحسين عليه السلام في الدنيا

---

(١) البقرة: الآية ٤٠.

(٢) الملهوف: ص١٠٦، البحار: ج٥، ص٤٥.

والآخرة... وثبت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام).

والباء سببية، فعلى المؤمن الذي يطلب الوجاهة أن يقدم الحسين عليه السلام في دعائه وطلبه ويسأل من الله تعالى ما يريد، ويرتبط بالحسين عليه السلام بأي نحو من الارتباط.

ولكن ماينبغي أن يلتفت اليه هو:

أن يكون وجيهاً بالحسين عليه السلام فلولا الحسين عليه السلام لا وجاهة له، وهذا إلفات لخدمة الحسين والمرتبطين به أن لا يخلطوا الوجاهة بالحسين بالأمور التافهة التي يظنوا فيها وجاهة كالموسيقى أو الألحان الغربية أو بعض أشكال الحركات البعيدة عن الحزن وما يناسب قدسية عاشوراء، أو يتخذ الخدمة طريقاً للمنافع الشخصية، فإن الوجاهة تنال إذا جعل المؤمن الحسين عليه السلام إمامه في المآتم وفي الكلام وفي الشعر والقصيدة والخطابة، ويجعل الحسين إمامه في علاقاته ومواقفه..

هكذا ينال المؤمن الوجاهة عند الحسين عليه السلام، فإذا نالها نال الوجاهة عند الله تعالى وإلاّ طرد من ساحتهم.

المصادر

القرآن الكريم

١ـ الاحتجاج: لأحمد بن علي الطبرسي، دار النعمان.

٢ـ بحار الأنوار، للشيخ محمد باقر المجلسي، الناشر مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، بيروت ـ لبنان، عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣ـ تفسير نور الثقلين: للشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي، مؤسّسة إسماعيليان ـ قم، ١٤١٢، ط٤.

٤ـ تفسير القمي، لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي، تحقيق وتصحيح طيّب الموسوي الجزائري، الناشر مؤسسة دار الكتاب، الطبعة الثالثة، قم ـ إيران، لعام ١٤٠٤ هـ.

٥ـ شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، مؤسّسة إسماعيليان، ودار إحياء الكتب العربية.

٦ـ رجال الكشي: محمد بن عمر المعروف بالكشي.

٧ـ قاموس الرجال: للشيخ محمد تقي التستري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المشرفة، ١٤٢٢، ط.١

٨ـ الكافي: للشيخ الكليني، دار الكتب الإسلامية ـ آخوندي، ١٣٦٧، ط.٣

٩ـ كامل الزيارات: لجعفر بن قولويه القمي، نشر الفقاهة ـ قم المقدّسة، ١٤١٧، ط١، و١٤٢٨هـ، ط.٤

١٠ـ مجمع البحرين: لفخر الدين الطريحي، مؤسّسة الوفاء ـ بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ط٢ ومكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٤٠٨، ط.٢

١١ـ المعجم الوسيط: لمجموعة من المؤلّفين، دار الدعوة ـ استانبول ـ تركيا، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٢ـ معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ط١.

١٣ـ مستدرك الوسائل: للمحقّق النوري الطبرسي،

مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

١٤ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام: لأبي مخنف.

١٥ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام: السيد عبد الرزاق المقرم.

١٦ـ الملهوف على قتلى الطفوف، السيد علي بن طاووس.

١٧ـ مفاتيح الجنان، عباس القمي، الناشر دار الأضواء، الطبعة الثانية، بيروت ـ لبنان، عام ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٨ـ مناقب آل أبي طالب: لابن شهر آشوب، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م.

١٩ـ نفس المهموم: للشيخ عباس القمي.

المحتويات

المحاضرة الأولى: لو عاد الزمن مع من تكون؟ ٥

المحاضرة الثانية: التدين واحتراف الدين..... ٢٥

المحاضرة الثالثة: جمال الظاهر وجمال الباطن ٤٧

المحاضرة الرابعة: لباس الكرامة والغيرة ٦٧

المحاضرة الخامسة: الوجهاء بالحسين عليه السلام ٨٣

المصادر..... ١٠٧

المحتويات ١١٠